الخالدي

# الاخلاق عند ابنة العصر

[redacted]
خالدى ،حسين الرمضان
الاخلاق عند نابغة العصر
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01002057

170 [redacted]

خالدى ، حسين الرمضان .

الاخلاق عند نابغة العصر .

DE 10 drop

170
K45A

170
K45aA
c.1

# الأخلاق عند نابغة العصر

تأليف العلامة السلفي بقية الاعلام الاماثل ، وينبوع الحكم والفضائل ، الاستاذ الجليل . واللوذعي النبيل، سيدي الشيخ حسين الرمضان الخالدي ، ألفه رداً على الدكتور زكي مبارك المصري صاحب كتاب ( الاخلاق عند الغزالي ) الذي وضعه منتقداً به احياء العلوم .للامام العارف بالله حجة الاسلام الغزالي رحمه الله

وقد اظهر الاستاذ برده إلحاد المؤلف وطعنه في السنة والدين ، وأذاقه بسهام الحق مرارة الذل، فأصبح من الخاسرين

نفع الله بفضله الاسلام . وأزهق بحكمته ظلمات الاوهام

طبع على نفقة الشيخ احمد الصابوني الحلبي

عام ١٣٤٧

تنبيه : نرجو من يطلع على هذا الكتاب ان يقرأه جميعه وان يحض المؤمنين على اقتنائه ومطالعته ليعم نفعه الخاص والعام. ويدرأ عنه مفتريات الاوهام. ويسلك به سبل السلام

تنبيه : لما تصفح سادتنا علماء دمشق هذا السفر الجليل ، واطلعوا على ماحواه من روح السنة واحكام التنزيل . اوجبوا على طبعه ونشره . وأسرني بذلك من لا اخالف أمره فعزمت راجياً اقتناءه من اخواني المؤمنين لنكون على البر متعاونين

يباع في اكبر مكاتب سوريا بقيمة نصف مجيدي فضة لا غير

مطبعة التوفيق، بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

احمدك اللهم حمداً ينبغي لجلال وجهك ياذا الجلال والاكرام. واستهديك هداية استضيء بنور مشكاتها سبل السلام. واستعصم بمتين حبلها يوم تحرر الآراء وتفسد الاحلام. والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الانام. وعلى آله واصحابه ما تعاقب الليالي والايام.

(أمابعد) فقد قدر لي أن اتصفح الكتاب الذي وسمه حضرة الدكتور زكي مبارك المصري (بالاخلاق عند الغزالي) فإذا هو كتاب كريم لا يتمارى في انه جامعة كتب قيمة نجبت بها ايدي كرام كاتبين كالامام الغزالي وابن الرشد وابي طالب المكي واضرابهم وليس لحضرة المشار اليه من ذلك الكتاب الا مالو جمعه المعجبون به مابلغ لديهم ما ينوف على بضع صحائف مما يعدون. وهي كلمات تدور حول معان ستة. وضع عناوين المسائل على الطرز الجديد، والثناء على النفس بما ليس فيها تعريضاً وتصريحاً، والتعبير عن علم الصوفية بالوسوسة والاضاليل، ووصف علماء الاسلام بالسخافة والجمود، وافتراض مايسمى فناً كالنقش والتصوير والرقص والغناء والتصدية والمكاء، واخراج خلة الزهد والقناعة والتوكل والتواضع من مكارم الاخلاق. وادخالها في زمرة مساويها ليعوض عنها اسباب القوة فالاخلاق عنده الظفر والناب والعصا والهراوي في القرون الاولى والسيف

والسكين والرمح والعنزة في القرون الوسطى ، وكالمدفع والبندقية وسائر الاسلحة النارية في هذا العهد الجديد ، والذي يحض بعض نابغة العصر لمثل هذه الملفقات انهم يتمنون ان ينفضوا عن ابدانهم غبار الخمول بنشر الشهرة وابعاد الصيت وقد علموا ان لاسبيل اليه الا بالعلم وهم يزورون عن قديمه لهوانه بهوان اهله فذهبوا يمتارون جديده من الغرب وبضاعتهم مزجاة فاعياهم الطلب وتقهقروا يلتمسون القديم فقيل لهم (الصيف ضيعت اللبن) فلما سقط في ايديهم على مافرطوا في جنب ذلك وهم يرون ان لابد لهم من درء الخمول عن انفسهم نهجوا في التآليف مناهج لا شرقية ولا غربية فتراهم يلفقون بين مسائل شتى من تاريخ وادب وطبيعيات وفلسفيات فيجعلونها رسائل لا نستطيع ان نصفها للقارئ كما تصف هي نفسها له وان خيلوا الى القلوب الساذجة انها غاية الغايات في علوم الحياة الجديدة وهى لو صح اطلاق اسم الحسن عليها ما كانت الا حسنة من حسنات اولئك القدماء الجامدين كما يقولون .

ولوصح ان مؤلفات المرء مرآة لحياته وحياته صورة من صور عصره كما يذهب اليه البعض لحق علينا ان نتخطف اكثر هذه التآليف العصرية من مستودعاتها حيث كانت لنمثل بها ونمزقها كل ممزق غيرة على عصرنا الذي بلغ ما بلغ في رقيه الفني اذهي كلها حشف خال عن حكمة تلتمس اوفن يقتبس . وهي عبارة عن تشكيل محاكماة بين اشلاء رفاة ونصب دواوين لعقوبة المخطئ ومثوبة المصيب من اولئك الدارجين . وكتشريح حياة ابي نواس وعبثه . والاصمعي ورفثه ليس الا .

وقد تسلق حضرة الدكتور في هذا الكتاب متن الغزالي بالنيل منه كثيراً ليكون رفيع الرتبة علي المنزلة فيشرف على كل مقام . إذ العامة تعتقد ان افضل الفضلاء من يستطيع نقد الفضلاء .

ولست اعني من ذلك الكتاب بسوى جمله التي يأخذ بها على الامام

الغزالي اذ رايت من الواجب التصدي للرد عليها والتنبيه على وجه الخطأ والمجازفة فيها على حجة الاسلام ناهجاً في ذلك منهج التلخيص مع شيء من التصرف ثم الاتيان بالرد عليها تباعاً

( فمن ذلك قوله ) لما كان بطرس الناسك يقضي ليله ونهاره في اعداد الخطب وتحرير الرسائل لحث اهل اوربا على امتلاك اقطار المسلمين ، كان الغزالي حجة الاسلام غارقاً في خلواته مكباً على اورادة لايعرف مايجب عليه من الدعوة الى الجهاد

( اقول ) قد وصم الغزالي هنا ثلاث وصمات . تخلفه عن مدا بطرس ، وانقطاعه الى خلوته واوراده ، وانه لايعرف ما يجب عليه من فرض الجهاد.

وماكان بطرس الا مبشراً يستفز شرذمة من الحمقى لايزيدون في قوة الجند الاخبالا ولو ان بعض تلامذة الغزالي تنازل الى مهنة التبشير ما استنكف بطرس ان يكون متمرناً عنده يتعلم منه كيف تكون الخرافات التي يتأثر بها الخائبون وقوم بطرس نفسهم لا يعرفون له هذا الفضل على حجة الاسلام وربما لو سمعوا بهذا لم يحملوه الا على التزلف اليهم بالمداهنة والمداجاة وان لم يكن في الواقع كذلك وقد سجل تاريخهم على فضل الغزالي يقول هو رابع اربعة محمد والبخاري والا شعري والغزالي. وليس هناك بطرس فيما يروون ويكتبون .

اما الخلوة برهة فهي امر ضروري لكل رئيس روحاني يريد الوقوف على بواطن الامور واسرار الكائنات وكان محمد عليه الصلاة والسلام يختلي بحراء فما ابطأت به خلوته عن القيام باعباء الرسالة وتنسيق ما كان من امر المعاش والمعاد. ولو جمع مقدار الازمنة التي ينقطع بها حضرة الدكتور الى منتزهاته ومتفرجاته فلا شك في ان نراها تجاوز المدة التي اضاعها الغزالي في خلوته وقراءة اورادة فكما ان هذا الانقطاع لم يحل بين الدكتور وبين بث فضله في الافاق فكذلك خلوة الغزالي. ولو وسعت نظرة الدكتور جميع ما كتب الغزالي للناس ثم وضع

الى جانبه ما استطاع هو ان يكتب لرآى الواقع خلاف ما يذهب اليه وان الفضل لصاحب الخلوة على صاحب الجلوة .

اما كان الاسلام بعهد الغزالي سائداً يسير في طريق نموه ويبسط جناحيه على عالم الشرق والغرب يُدان له ويخضع وما فشت ضيعته وتقلص ظله حتى انتهى الينا ولم يبق منه سوى فيئ الزوال مذ كنا طائره المشؤوم في عنقه . أقليل ما قرر الغزالي وكتب (في الجهاد) وله في الفقه ابواب مفردة فيه ام خفي هذا على حضرة الدكتور حتى يقول انه لا يعرف ما عليه من فرض الدعوة الى الجهاد . الم تكتف حضرته عما بشر بطرس بما صنع الغزالي في كل فن وهو يتلون في الحقائق تلون الحرباء في اردية الوانها فتارة يكون صوفياً ينظر في ملكوت السموات وتارة طبيباً يستدل بالانباض على الامراض وأخرى هندسياً وطوراً فلسفياً وآخر محنكا سياسياً يقري القرى ويمصر الامصار ويشكل شعب الحكومات من ديوان سلطانها الى غرفة شرطها ومتبوأ جلوازها وكأنما شكل الحكومات اليوم هو الشكل الذي رسمه الغزالي فيما كتب . وحسبك ذلك الانموذج الصغير الذي كتبه الدكتور عن الغزالي في واجبات الملوك والتجار والكتاب والامراء والوزراء وارباب الصنعة الى كل صنف صنف ولك في ذلك أيما مقنع ان نظرت اليه لا بالعين التي ينظر بها الحاسدون .

ظن حضرة الدكتور ان سلطة الغزالي كانت تسير في الناس مسير شهرته فيهم فهو يستطيع ان ينفخ في الصور فيجمعهم على صعيد واحد ويحزبهم جنوداً يمد بها بيت المقدس بعد ان يقطع دابر الفاطميين ويشرد بهم من خلف السلجوقيين إذ لهم يد في اضرام نار تلك الفتنة على ما يقوله حضرة الدكتور .

( ومنها قوله ) ونحن لا ننازع الغزالي في ان لله نوراً يقذف في الصدور فنسأله لم لا تكون الاحكام العقلية قبساً من ذلك النور ونسأله لذلك ما هي حالة

المرء الذي ينظر بهذا النور الذي تراه فوق البرهان والدليل (اقول) لقد اجاب الغزالي قبل السؤال بانه لا شك في ان احكام العقل قبس من ذلك النور ولكن اين قبس لا يضيء الا حيث تطأ الاقدام . من وهاج نور يدرأ ظلمات الاوهام ويكشف سجف الظلام عن الاحكام. وان حالة المرء الذي ينظر هذا النور حالة الذوق والوجدان. لا حالة من يستدل بحجة وبرهان. اذ بذلك النور يجد المرء في نفسه حقائق الاشياء على ما هي عليه وجداناً يحاكى من بُعد ادراك البالغين لذة الوقاع فلايسع العبارة أن تفضى بها الى فهم ذوي العِنة والصبيان. العقل نور به يدرك المرء عجز نفس العقل عن ادراك كثير من الامور وربما كان هذا اصدق ادراكاته كما قيل ( والعجز عن درك الادراك ادراك ) وغايته انه يزج بالعاقل الى اسباب يتعلق بها حتى تصل به الى حقيقة ذلك النور . والنور عقل من حيث انه يعقل به ما وراء عالم الحس من عالم الغيب واسرار الملكوت . العقل حاكم لا يحكم بشيء الا ان قامت لديه بينة من الحس فيقضى بذمتها وكثيراً ما تكذب وتأتي بزور . يحكم ان الصوت عرض والعرض لا ينتقل ولا يبقى زمانين فينـاديه منادي ( الفونوغراف ) ان قد أخطأت فيقول وفوق كل ذي علم عليم . ان النور الذي ينكره حضرة الدكتور هو الذي يقول سبحانه فيه( او من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ) ويقول ( ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ) ويقول(يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثـال للناس والله بكل شيء عليم). أيريد سبحانه بذلك النور غريزة العقل العملي الذي لا يخلو عنه دماغ مؤمن ولا كافر أم يريد ذلك الفكر الذي لا وظيفة له سوى استنتاج الجزئيات من الكليات واعتماده فيها على التجربة والاستقراء وهما قد لا يتمان . ليس القائل بهذا النور هو الغزالي وحده بل ادعى استكشافه جمهور الصديقين من هذه الامة وليس من الانصاف ان يكذب كل اولئك الاماء العارفين

ولا ان ينكر المرء كل ما عزب عن علمه وجهل سبيل الوصول اليه .

( ومنها قوله ) وقد تبينت احكام الغزالي فرأيته لا يضع حكماً الا وقد اقتبسه من حكمة او مثل او بيت شعر الى غير ذلك مما سمعه .

( اقول ) قد افضت العبارة ههنا بما في ضمير الدكتور من العناية بالاتيان على شهرة الغزالي والشغف بتصغير شأنه من حيث قدر أنه سيطفئ هذا النور الذي ملأ الفضاء بنفخة صغيرة من فيه ويأبى الله الا ان يتم نوره .

كان حجة الاسلام حر الفكر حر الضمير يبتكر الحكم ابتكاراً وان اتفق ان يكون مسبوقاً ببعضها وكثيراً ما يأتي بموضوع وآراء العقلاء قبله فيه فيبدأ بتزييفها وبيان وجه الخطأ فيها ثم يبدي فيها رأيه فإذا هو فصل الخطاب في ذلك الموضوع . ولا يأنف ان يقتبس من كتاب وسنة ومثل وحكمة كما هو شأن كل مؤلف وكاتب بعد ان لا يدعي شيئاً من ذلك لنفسه .

( ومنها قوله ) ان الغزالي قد درس الفلسفة بنية سيئة ليسبر غورها وينشر مساويها وان الذي يدعوه لمقت اهلها انما هو عدم تلمذه لاستاذ منهم ليصبغه بصبغة اجلال اهلها على انه مانجا من محاكاتهم وترسم آثارهم حين كتب في الاخلاق والآداب .

( اقول ) نشر الغزالي من مساوي الفلسفة ما يجب نشره والتشنيع به وتنفير الناس عن قبائحه كذهابهم الى قدم العالم باجناسه وانواعه وقولهم ان الله لا يريد وانه لا يعلم الجزئيات ولم يدعه لمقتهم وحمل الغيظ عليهم الا انهم خرجوا على الكتاب والسنة واتبعوا اهواءهم وفاسد آرائهم ولم يكتب عنهم في الاخلاق شيئاً كما يزعم الدكتور وما يذكر خلقاً من الاخلاق الا وتجده يستند فيه الى خلق من اخلاق الرسول عليه السلام وان كان يقول به الفلسفي تطفلا وما درس الغزالي الفلسفة الا ليحارب ما خالفت به سنن الشريعة وتلك نية صالحة وان احالتها نظرة الدكتور الى السوء وصبغتها بصبغها .

(ومنها قوله) وانك لتضحك ملأ فيك عندما تقرأ كتابه المنقذ من الضلال اذ يقول فيه ان كلام الساسة يرجع الى الحكم المصلحية السلطانية وانما أخذوها عن الانبياء واما الخلقية فجميع كلامهم يرجع الى الاخلاق النفسية وانما أخذوها عن الصوفية المتألهين وان العالم لا يخلو في كل عصر عن جماعاتهم وانهم اوتاد الارض ببركاتهم تنزل الرحمة (أقول) لم أر هناك عجباً يضحك الدكتور ملأ فيه غير انه يرى ان الساسة والاخلاقيين اجل قدراً من ان يكونوا عيالا على الانبياء والمرسلين والاولياء المتألهين وزاده عجباً الى عجبه ذهاب الغزالي الى ان العالم لا يخلو عن جماعة اوتاد ببركاتهم تنزل الرحمة وقد اجمع على ذلك الصادقون لا يظن تواطأهم على الكذب الا من خبثت سريرته وساءت سيرته وربما استندوا في ذلك الى ما رواه الامام الخليلي في فتاويه عن أبي نعيم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن لله عز وجل في الخلق ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام ولله في الخلق اربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام ولله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم عليه السلام ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام ولله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام ولله في الخلق واحد قلبه على قلب اسرافيل عليه السلام فاذا مات الواحد ابدل الله مكانه من الثلاثة واذا مات من الثلاثة ابدل الله مكانه من الخمسة واذا مات من الخمسة ابدل الله مكانه من السبعة واذا مات من السبعة ابدل الله مكانه من الاربعين واذا مات من الاربعين ابدل الله مكانه من الثلاثمائة واذا مات من الثلثمائة ابدل الله مكانه من العامة فبهم يحيي ويميت ويمطر وينبت ويدفع البلاء وقد يستأنس لهذا الحديث بقوله تعالى (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليما).

نعم يسهل على الدكتور ان يقول إن هذا الحديث موضوع لعنة الله على واضعه وان قالت به الستة الصحاح لان مالا يكون معقولا عند امثاله فهو لا محالة موضوع وان كان آية قرآنية .

ومن يتيقن ان الله سبحانه لم يخلق هذا الوجود الا من اجل عبادته وان اكرم الخلق عند الله اتقاهم هان عليه ان يسمع مثل هذه المعتقدات فلم يضحك عليها ملأ فيه. ولو تبين حضرة الدكتور حقيقة قوانين الساسة وانظمة السلاطين وما كتبه المصلحون في الاخلاق ما ارتاب هذا الريب في ان ذلك كله مأخوذ عن الشرائع قديمها وحديثها حتى كتابة العدل وتحرير المقاولات فانه يراها ترجع الى قوله تعالى ( يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل الى قوله ولا تسأموا ان تكتبوه صغيراً او كبيراً الى اجله)ولولا ان الوقت اعز من ان يضاع في مثل هذه المشاغبات لعزوت لك كل قضية قانونية الى اصل شرعي من كتاب وسنة اوما استنبطاه منهما ابوحنيفة وابويوسف ،

ويزيد المستبصر يقيناً ان تسامي افكار الساسة يكون بنسبة ما يحيط بهم من دين كان دين الاسلام خير دين وامته خير امة اخرجت للناس وكذلك كانت الساسة لعهد الاسلام فهم غيرهم لعهد اي دين قبله .

( ومنها قوله ) كان الغزالي ينفر الناس عن الفلاسفة وان فعلته تلك لتحسب بذرة هذه التقاليد الممقوتة التي يعانيها المفكرون والاحرار في الاقطار الاسلامية ( اقول ) يريد ان مصيبة هذا الجمود الفكري الذي اصيب به المسلمون كما يقول انما هو من تحاشيهم عن مذاهب الفلاسفة بسبب تنفير الغزالي عنهم فأن اراد بهذا جمودهم في الفنيات والطبيعيات فالغزالي لا يعترض سبيل الفلاسفة من هذه الجهة ولست كاذباً ان أقول كان الغزالي ممن يفترض هذه الفنون على الامة وكان يعد اماماً من أئمتها ولا ينكران الفضل للفلاسفة فيها عليه وان ارادانهم جامدون في الالهيات

على الكتاب والسنة فحق على الغزالي ان ينفر العامة عنهم من هذه الجهة وحسب المسلمين في الالهيات كتاب الله وسنة رسوله فلا حاجة بهم الى مبتدعات الفلاسفة التي تعود بالنقد على اصل التشريع مثل نفي حشر الاجساد واعتقاد ان الجنة معقولة غير محسوسة وكذلك النار وان العالم قديم الى غير ذلك مما ينافي صريح الدين. فان اعتقد حضرة الدكتور كاخوان الصفا ان الشريعة ليست كاملة وفيها غلطات يجب اصلاحها بواسطة الفلاسفة فذلك تصريح بالكفر نعيذه بالله منه. ونسأل حضرة الدكتور فأنت لم اصبت بما اصيب به المسلمون من ذلك الجمود وانت لم تغتر بوساوس الغزالي واضاليله بل كنت تنهى وتناءى عنها ناحياً نحو الفلاسفة في كل شيء ولعلك تظنك قد خدعتنا بمثل هذا المؤلف المنتحل فنحن لسنا عندما تظن بنا من السذاجة والحمق بحيث نجعل لك ميزة علينا بذلك التلفيق بل نحن واياك في المصيبة سواء فان ادعيت غير ذلك فأت ببرهانك ان كنت من الصادقين.

( ومنها ) مقته الغزالي كل المقت كيف حكم بكفر الفارابي وابن سينا ومن سلك سبيلهم من الفلاسفه.

(اقول) لايستطيع الغزالي ان لايكفرهم ظاهراً بقولهم ان العالم قديم والله يقول ( خلق كل شيء فقدره تقديراً ) وقولهم ان الله يفعل لا بالارادة وهو تعالى يقول ( والله يفعل ما يريد ) وقولهم ان الله لا يعلم الجزئيات وهو يقول ( وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ) فان لم ير حضرة الدكتور في تلك الآراء باساً فنحن لا نريد ان ننازعه فيما يدين ولكننا نريد ان لا ينازعنا في ما ندين.

( ومنها ) انه يثني على اخوان الصفا وينكر على الغزالي كيف يصب عليهم جام سخطه ومقته.

( اقول ) نقل الدكتور نفسه عن الكونت جلارزا ان اخوان الصفا يرون ان الشريعة ليست كاملة بل فيها غلطات وجب اصلاحها بواسطة الفلسفة ومع ذلك تراه يعززهم وينتصر لهم وبعد فما ظنك بمن يكون للكافرين على المؤمنين ظهيراً.

( ومنها قوله ) ان الغزالي اندفع يحدث الناس بما يفهمون وما لا يفهمون .

( اقول ) سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم. كان حجة الاسلام يأتمر بقوله عليه السلام كلموا الناس على قدر عقولهم فلا يقرر على العامة غير الاحكام الشرعية والعظاة العامية وهو يقول كل لكل عبد بمقدار عقله. وزن له بميزان فهمه . حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار وكان يغار على كتب الصوفية ان يطالعها او يسمعها من لم يرزق شيئاً من سلامة الذوق وصدق الوجدان وربما كان يخشى عليه الكفر من ذلك ويقول هي حرام على غير اهلها وما اذيعت اقواله في التصوف الا بعد ان استبدت المطبوعات بحريتها وفوض للعامة اختيارها فيما تشاء درساً وعقدا .

( ومنها قوله ) وهذا التصوف الذي يترسم الغزالي آثار اصحابه ليس في جملته مما تدعو اليه الشريعة الاسلامية وانما هو مزيج من عدة مذاهب .

( اقول ) هذا رجم بالغيب والا فليس بالامر الهين ان يتذوق امثاله حقيقة هذا العلم صرفاً حتى يعرفه مزيجاً ولا يحس بمباديه الا من تخلى عن الرذائل وتحلى بالفضائل وهو علم يستند الي الكتاب والسنة لمن فقه عنهما بل هو غايتهما الدائرة حول معرفة الله بذاته وصفاته وافعاله وربما تيسر لنا آتياً ان نبين حقيقة كلمات الصوفية التي ينكرها الدكتور عليهم مع بيان مصادرها من موارد الدين.

(ومنها قوله) واما ما يختص بقطع العلائق مع الناس والتزهيد في الحياة فهو بعيد عن روح الدين لان الاسلام دين فتح وسيطرة وهو يعد معتنقيه لان يكونوا سادة بخلاف التصوف فانه يلبس اصحابه ارواح العبيد .

(أقول) وهذه عبارة تريب القارئ في ان قائلها قد نشأ وترعرع في حجر مسلمة تعيش بين ظهراني هذه الأمة فلم يقرع سمعه من كتاب الله ما يقنعه ان الزهد في الحياة هو روح هذا الدين بل لا حياة له بدونه كقوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وقوله انما الحياة الدنيا لهو ولعب واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه) وقد سماها بمتاع الغرور تصغيراً لشأنها وتزهيداً فيها ولقد اخشى اني ان اخذت عليه الطرق في تأويل مثل هذه الآيات فقد اغريت العداوة بينه وبين كتاب الله تعالى بعد ان كانت بينه وبين حجة الاسلام. ليس الزهد ما يفهمه الدكتور من حالة شرد الجزائر وهائمي السودان انما الزهد رفض العمل على الحظوظ الى العمل بالحكمة لمنافع تعم الناس اجمعين. ما كان دين الاسلام دين فتح وسيطرة الا بزهد الفاتح في الحياة وقد يضطر حضرة الدكتور فيما ذهب اليه لاختيار احدى السوأتين اما انكار زهد الرسول في الحياة واثبات اختياره لما عير الله اليهود به بقوله (ولتجدنهم احرص الناس على حياة) واما انكار ان يكون فاتحاً مسيطراً قد البسه الزهد روح العبيد. لا تجد ان حققت نظاماً تدور عليه شؤون البلاد او ناموساً يدرأ به الفساد اوصناعة تعم بنفعها العباد الا واضع مباديها زاهد حكيم قد قطع العلائق مع الناس لئلا يشغل بهم عن ثمرات فكره ونتائج نظره وهكذا كان افلاطون وسقراط وبقراط وكل حكيم ومن انكر ان كانوا هكذا وانهم من المجتمع كالروح المدبر من الجسد فهو بعيد عن التحقيق فيما يدرس من حياة الاماثل الاعلام. كان حجة الاسلام زاهداً في الحياة مزهداً فيها وبالرغم من ذلك كان ينزل من قلوب الناس منزلة الملوك القاهرة منها فأين لباس العبودية الذي استغشاه الغزالي بزهده وقناعته، واين السيادة التي نالها حضرة الدكتور بحرصه ونهمته. ويرحم الله الشيخ زروق حيث يقول

( رب مستور سبته شهوته  قد عرى من ستره وانتهكا )
( صاحب الشهوة عبد فاذا  ملك الشهوة اضحى ملكا )

مسكينة هذه الامة يسألها التاريخ على انها زاهدة قد قضى زهدها على حياة اقتصادها فماتت بموته ويسألها الله على انها احرص الناس على الحياة حتى تمزق شملها وذهبت ريحها وقد قسمها الطمع على نفسها الى طوائف واحزاب يغزو بعضها بعضاً ويذيق بعضها بأس بعض فبلغ بهم ذلك ان مثلو بسبط نبيهم خشية ان يحول بعدله بينهم وبين ما يشتهون . أفكان كل ذلك بالزهد الذي يدعو اليه الغزالي ام بالحرص الذي يلحد الدكتور اليه .

( ومنها ) انه يتهم الغزالي بانه سرق احياءه من كتاب قوت القلوب يسير مع صاحبه بطريق واحدة وهو يستر ذلك بتغيير العناوين فيخيل الى القارئ انها له .

( اقول ) قد هجم الدكتور هنها على الغزالي بلا تدبر فاعترف انه لم يسلك طريق الحق في النقد على حجة الاسلام وانما طريقه في ذلك طريق حاسد الى محسود . الناس لم يعرفوا الغزالي باحيائه المسروق فقط بل وبآثار أخر لم يكن لصاحب القوت ولا لغيره من العلماء فيها قدم فسمى بها حجة الاسلام دون صاحب القوت واما تواطؤ الكاتبين على الكثير من موضوع واحد كتلاقيها في الاستشهاد على آية واحدة اوحديث واحد اومثل اشتهر في ذلك الموضوع فهو كالشئ الطبيعي الذي لابد منه وقد يوهم ذلك الجاهل والسارق الذي يزن الناس بميزان نفسه انه سرقة السارقين .

( ومنها قوله ) ويرى غير واحد من علماء هذا العصر ان الاخلاق عند الغزالي هي عين الاخلاق الاسلامية . وهذا رأى غير صواب وسترى كيف أخطأ حين تقرأ ما فصلناه من آرائه في الاخلاق .

( أقول ) قد بلغت بالدكتور حيرة الحسد وضلال الشنئان ان يحاول اخراج

حجة الاسلام من الاسلام وهو أمل خائب ومبالغة تخسه قيمة آرائه وتجعله غير صادق في كل ما يقول وستعلم الحق وتلمسه لمساً عندما نأخذ بالرد على ماسيفصل من آراء الغزالي وتعلم ان ان الغزالي وكل مسلم بريء عن الاخلاق الاسلامية بالمعنى الذي تفصل حضرته .

( ومنها قوله ) وما ضل الغزالي الا حين تعلق باهداب الاخلاق الانجيلية كقوله قيل ان عيسى عليه السلام لم يملك الا ثوباً واحداً لبسه عشرين سنة وانه لم يأخذ معه في كل سياحته الا كوزاً وسبحة وما اشبه هذا من الاقلال وقوله كما في الانجيل من ضربك على خدك الايمن فدر له الايسر ومن سخرك ميلا فامش معه ميلين وقوله ان المسيح مكث يناجي ربه ستين صباحاً لم يأكل ويقول الدكتور ومن يكن كذلك لا يصلح لشيء من هذا الوجود الزاخر بالجهد والجلاد وما عسى ان تكون منزلة مثل هذا بين الاحياء .

( أقول ) قد يغفل الدكتور كثيراً عما يراد بالكلام العربي فلم يلحظ ان قوله من ضربك يريد به كمال العناية بالعفو والصفح المعنى بقوله تعالى ( ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن ) وقوله عليه السلام (احسن لمن اساء اليك) واما قوله ومن سخرك ميلا الخ . فقد يراد به الحض على كمال مجاراة الاخوان وملايناتهم والانقياد لحقوق أخوتهم من باب قولك تصدق ولو بظلف مبالغة في الحث على الصدقة كقوله سبحانه (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) وقوله عليه الصلاة والسلام (المؤمن هين لين كالجمل الانوف) اي لين العريكة سلس القياد لاخوانه وليس بعيداً عن التحقيق ان يراد بالقولين ظاهرهما لانك لو عاملت المسيء بهذه المعاملة فربما استحيى منك ورجع يعاملك كما تعامله ويجاملك بمثل ما تجامله ولان انكر حضرة الدكتور زهد عيسى عليه السلام في ربه فلقد يزهد العاشق في ذات الحيض

كل شيء وليس للعارف غرض من هذه الدنيا سوى ما يقيم اوده ويبقى عليه حياته والرسل لا تقاوم هذا الوجود الزاخر بالجهد والجلاد الا بعناية الله تعالى واظهار المعجزات وبيان الحق والا فما عسى ان تكون حياة مثل موسى عليه السلام بين الأحياء من آل فرعون فقد اخرجهم بمعجزاته من جنات وعيون ومقام كريم واما قوله في عيسى لم يملك الا ثوباً واحداً لم يخلق كل هذه المدة وما عليه لو آمن بقدرة الله على ما هو اكبر من ذلك ولان استنكر ان يترك عيسى الأكل اربعين صباحاً فقد يتركه البرهمي اكثر من ذلك وترك الطعام مدة طويلة مقرر في اصول الفلاسفة وتوضيح ذلك ان المريض مع سقوط قوته قد يصبر عن الطعام والشراب طويلا لاشتغال النفس الناطقة بالمرض عن تحليل البدن فلا يحتاج في سد بدل ما تحلل الى مادة الغذاء فلو سمح الدكتور للانبياء عليهم السلام حالة مع الله مثل حالة المريض مع مرضه ما كان جانياً على الطبيعة والعادة فان تعسر عليه التصديق بمثل هذه المطردات فأولى ان يتعسر عليه اجتلاب عرش بلقيس قبل ارتداد الطرف وسماع سليمان كلام النملة وفهمه له وانفلاق البحر لموسى بعصاه وغير ذلك من الخوارق الواردة في القرآن .

( ومنها ) اخذه على الغزالي كيف يصدق ان عيسى عليه السلام يقول لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن ويقول انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله يرزقها ونقض الدكتور الاول بقوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة والثاني بقوله ولا تنس نصيبك من الدنيا .

( أقول ) ورد في الدنيا والآخرة انهما كالضرتين وكذلك الواقع فان من احب الدنيا كره فراقها وفراقها الآخرة بعينها ومن احب الآخرة كره التخلف عنها والتخلف عنها الدنيا بعينها وما زاد في حب احداهما الا بنقص من حب الأخرى وهذا لا ينبغي ان يخفى على اي عاقل وحديث الطير ثابت بقوله

عليه السلام لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً وليس المراد بمثل هذه الاخبار الحث على ترك التعلق بالاسباب والتزهد في الدنيا رأساً وانما القصد الاعتدال في الطلب والاجمال فيه والا فالحديث نفسه يمنع حصول هذا التوكل وحصول الرزق بغير كد واكتساب فان لو حرف امتناع لامتناع اي امتنع توكلكم على الله حق التوكل فامتنع ان ترزقوا كما ترزق الطير على ان نفس غدوها ورواحها ضرب من ضروب الاكتساب وكذلك خلق الانسان ممتعاً بالفكر معد الجوارح لصناعات شتى وهو عريان لم تضمن له الارض لباساً مخيطاً ولاطعاماً نضيجا يفهمنا انه قد احيل بفطرته على فضيلة سعيه وعمله ولو صح لعامة الناس هذا التوكل كما صح لمريم عليها السلام لما استبعد ان يضمن سبحانه الارض طبائع خاصة يتكون عنها مثل ما يعمل الانسان لنفسه كما ضمنها اسباباً تلبس الطير فروا من الريش تقيها حمارة الحر وصبارة القر وتنبت لها حباً صلباً يوافق صلابة مناقيرها وقوى هضم حواصلها وليس ذلك باهون على الله من هذا والله على كل شيء قدير . ثم الآيتان اللتان اوردهما الدكتور لا ينهضان حجة لدعواه وان فسرهما كيف شاء اذ ذكر المرء نصيبه من الدنيا والتماسه الحسنة فيها كتطلب مطعم شهي ومنظر بهي وزوجة صالحة واولاد بررة فقد لا يكون من حب الدنيا في شيء وانما هي مجرد شهوة واستلذاذ فحبك احدى زوجيك مضر بالاخرى قطعاً بخلاف حبك لطعامك وشرابك فانه لا يضرها بشيء اذ لا مقابلة بين ذينك الحبين . على ان هذه رخصة لضعفاء العزائم من العامة الذين لم يستغنوا بالاذواق العرفانية عن اللذائذ الشهوانية. والا فمن المخاطب بقوله تعالى (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى ) وقوله ( واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة

الدنيا ) وقوله ( من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ) وقوله في التوكل ( ومن يتوكل على الله فهو حسبه ) ( ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ) وقوله ( وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ) والآيات في ذلك فوق ان تعد وتحصى .

( ومنها قوله ) ومع محاكات الغزالي لمن تقدمه من المؤلفين فإنا نراه يكرر كثيراً الافكار والعبارات والامثلة حتى لتظن بضاعة واحدة في جميع مؤلفاته وانما تختلف بالاطناب والايجاز .

( أقول ) هذه المحاكات وهذا التكرار ضروري لكل مؤلف مهما كان الموضوع واحداً. مثلا وضع الغزالي باباً للتوكل في الاحياء وأتي فيه بما أتي فان اقتضى ان يؤلف فيه رسالة مفردة فهل يستطيع ان يختلق فرقاً جوهرياً بين التأليفين الا بضرب من الاطناب او الايجاز وهذا التكرار تجده في كتاب الله سبحانه حين كانت مواضيعه جلها التوحيد .

( ومنها قوله ) إنه ليست هناك غاية يسعى لنصرتها الغزالي بمصنفاته العديدة فهو تارة يلوذ باكناف الشريعة فيمنع ما تمنع ويبيح ما تبيح وتارة يساير الصوفية وينصرهم فيما يسمون اليه من الانفراد بفهم اسرار الوجود .

( أقول ) لا يرى الغزالي رأي الدكتور أن الحرب سجال بين علم الشريعة وعلم الصوفية فينصر احدهما على الآخر وانما ينتصر للصوفية على الجامدين يخرون على الظاهر صماً وعمياناً ويكفرون بما وراء ذلك من العلوم اللدنية التي تنتجها التقوى باتباع العلوم الشرعية كما يقول سبحانه (واتقوا الله ويعلمكم الله ) ويقول وآتيناه من لدنا علما ويقول (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتا

واذاً لآتيناهم من لدنا اجراً عظيما ولهديناهم صراطاً مستقيما ) ويرى الغزالي ان الشريعة شجرة ثمرتها العلوم اللدنية وهو في البحث عنها كالبستاني فهو تارة يتكلم عن الشجرة وما يجب ان يفعل في إثمارها وأخرى عن الثمرة وما يصلحها لادخارها . وما كان صاحب موسى متناقضاً حين يفتي من الوجهة الشرعية ان النفس بالنفس ويقتل من وجهة أخرى نفساً زكية بغير نفس .

( ومنها قوله ) ان الغزالي ليس من المبتكرين والمبدعين وقد أفاق الناس ولم يروا غير الغزالي ثم هرعوا اليه .

( أقول ) كرر مدح الغزالي وذمه في عدة مواضع من كتابه المذكور فتارة يقول كما هنا ليس هو من المبتكرين والمبدعين وان حظ اسلوبه من الرقة قليل وانه يكرر العبارات ويردد بها اصوات المتقدمين . وتارة ينكس على رأسه بالمدح فيقول ان له ميزة خطيرة في مؤلفاته فهو يحسن ويقبح بطريقة فنية بديعة تخلب العقول وتمتع القلوب وان خطته بالتأليف تمتاز بالاعتماد على الخطابيات في اصلاح القلوب . وإنه آخر عفيّ على الأولين. فهذا يشعرنا بتحيره في امر الغزالي فلا يدري مايجب ان يعتقد فيه أو أنه يستحسن بعض ما يحفظ من الجمل البديعة في أساليب المدح والذم فيريد أن يعجب بها وان كانت متناقضة مدحاً وذماً.

ومن هنا يبدأ الدكتور بتحرير نقد المتقدمين بعض ما ذكره الغزالي في احيائه وعلينا أن نمر بلغوهم فيه كراماً الا ما يُبدئ الدكتور رأياً فيه لانا لم نتازل في هذا المعترك سواه وما كان غرضنا الرد على اي متكلم يتكلم في الغزالي .

( فمن ذلك ) تعرضه لقول الغزالي (ليس في الامكان أبدع مما كان) يقول لو كان للأوليين نصيب من العلم والفن لعدوا هذا عقبة في سبيل الاختراع ايضاً .

( أقول ) نعم ياحضرة الدكتور الحق ما تقول لو كان مراد الغزالي من هذه الحكمة ان قدرة الله عاجزة وبالأولى قدرة البشر عن اختراع كهرباء

تظلم لديها ذبالة الراهب واصطول فخم يعفى على زورق الملاح لعهد الغزالي وسيارة اسرع وأبدع من عجلة يعاني سيرها البقر . وهذا المعنى ياسيدي لا يمر والله ببال أحد سواك . لان هذه المخترعات ليست بأبدع مما كان من السماء وما فيها من النيرات والارض وما عليها من عجائب الحيوانات وغرائب خواص جمعتها هذه المخترعات فالجزء الضئيل من الشيء لا يكون أبدع من كل ذلك الشيء .

وهنا الواجب أن يضحك القارئ ملأ فيه كما تقول. وأعجب من هذا وادعى منه الى الضحك انك لم تجعل للاوليين نصيباً من العلم والفن حيث لم يفهموا تلك الا ضحوكة كما فهمت . وايضاح ما أراد حجة الاسلام من هذا الكلام انه سبحانه احب ان يكون خالقاً ومبدعاً متصفاً بأكمل الافعال واذاً فليس من المعقول ان يبقى على حظيرة الامكان ما هو أبدع ويؤثر بالخلق والايجاد ما هو دونه من الممكنات .

ولو عقل الدكتور معنى اول مخلوق تسميه الفلاسفة بالعقل الاول وهو الحلقة الاولى في سلسلة هذا الوجود التي من جملتها سماوات علا ذات ابراج مشيدة ، واجرام نيرة وارواح علوية مجردة موثرة في عالم الكون والفساد تضل العقول في بيداء مباديها ، وأرضون ذات فجاج ممهدة ، ومعادن مرصدة ، وخواص مبددة ، لم يكشف البشر عشر عشير عجائبها ، ولا نقيراً من كثير غرائبها ، لسجد غير متوان لذلك المخلوق الاول وقال سبحانك ما اعظم شأنك أنت واجب الوجود الارفع وخالق البديع والأبدع فضلا عن أن يتصور ان بين ذلك المخلوق الاول وبين مبدعه طور إمكان .

( ومنها ) نعيه على الغزالي انه يبيح للصوفية تمزيق الثياب عند غلبة الحال عليهم ، ويقول إنه لامرية في أن غرض الشارع من التجمل انما يرجع الى الرغبة في ان يسبغ على المؤمن رداء الجلال .

( أقول ) فهل لا رأى الدكتور غلبة الحال عذراً يبيح تمزيق الثياب وهم لا يوقعون طلاق المغلوب . لا سيما ان كانت وجداً في الله فلا تنزع لباس الجلال عن ذي الجلال بل ربما كانت عين جلاله وجماله ولذلك تراه مكرماً موقراً عند الخاص والعام من المؤمنين . ولا عبرة باستخفاف منزوع الايمان فانه يسخر من صلاة المصلين وذكر الذاكرين . وستسمع آتياً ان حضرة الدكتور لا يبالي ان يفتي بان الرقص والغناء لا يقلان شأناً عن سائر الفنون وكل فن عنده واجب التعليم وعجيب انه لا يرى بأساً بالرقص كالدانس والكفشنطا ويرى غلبة الحال في الله مما يقلص على المؤمن رداء جلاله . وينتزع عنه بهاء جماله .

( ومنها قوله ) وقد تنبه ناقدوا الغزالي الى ان التقليل من الطعام قد يورث الجنون . فمن يدرينا أن ما يسمعه المتريض هو نداء الحق . او ان الذي يشاهده هو جمال الربوبية . ومن يضمن ان لا يكون ما يجده هو من الوساوس والخيالات الفاسدة .

( أقول ) ان الثور الذي يعتاد كظة العلف يُقدّر انه لو رد في غذائه الى قانون البشر لجن لا محالة . وانما الكلام في البشر لا في البقر . وقد أجمع الحكماء على ان كثرة الطعام مشغلة للنفس الناطقة بالهضم عن الالتفات الى ما وراء الحس من الامور الغيبية . وانه لا يخلو اي طعام عن ضراوة الخمر . وبخار يصعد منه الى الدماغ فيحجبه عما يشهده المقربون . وان لم يشعر به هؤلاء السكارى المخمورون . واما احتمال ان يكون ما يسمعه اويشاهده المتريض وساوس وخيالات فاسدة فهو احتمال اورده الكفرة على ما يسمعه الرسل فيما اوحى اليهم. فقالوا في القرآن ( انما تنزلت به الشياطين ) . فرد عليهم سبحانه فقال ( قل هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ) ( تنزل على كل أفاك أثيم ) .

يقول عليه الصلاة والسلام ( لو لا تمريج في قلوبكم وفضول في السنتكم

لسمعتم ما أسمع ورأيتم ما أرى ) وهذا يثبت ان للاولياء نصيباً مما للانبياء . والله يقول ( ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ) اي ما تفرقون به الحق من الباطل . والالهام من الوسوسة . ولا ريب ان الغزالي من اولئك المتقين . وعجيب ان يفوت الغزالي وهو الحذر النبيه . ما تنبه اليه عراض القفا عبيد البطون . ولقد تسمع بمجازفته حين يعدون من العيوب قول الجنيد ( اذا كان الاولاد عقوبة شهوة الحلال فما ظنكم بعقوبة شهوة الحرام ) فيصمون الغزالي بتقريره هذا الكلام . ولا يراه المحقق غير قوله تعالى ( انما اموالكم واولادكم فتنة ) والمراد بالعقوبة ههنا معناها اللغوي اي ان الفتنة بالاولاد تتعقب فعلة النكاح لا بمعنى ان النكاح حرام شرعاً يستحق فاعله العقاب .

ولنأت هنا بكلام يسير يمكن ان يكون في جملته جواب لكل ما أورده الدكتور في كتابه عن الاحياء مما أخذ المتقدمون به على الغزالي .

وهو أن القوم الصوفية قوم مفكرون لم ترض لهم احلامهم ان يقفوا على الخبر دون العيان فهم يخوضون غمار التحقيق فيعنّ لهم شيء من حق اليقين معارضاً بشكوك قد ارصدها لهم الشيطان في مواقف التحقيق فيريدون ان يتقهقروا الى الاستسلام العامي من حيث أتوا. وقد افلت ذلك الحبل من ايديهم وهم من ذلك على خطر الكفر والالحاد فيريعهم ما وقع لبلعام ثم يرون في الاقدام الى الامام عقبة كؤوداً من رذائل النفس وامراض القلوب التي لا يبل منها الا الاعتلاج باضدادها على خط مستقيم وان كان فيها بعض الشيء من مخالفة ظاهر الشريعة فيرتكبونها وقتاً ما ضرورة ارتكاب اهون الشرين . كما يسوغ الشرع لمن غص بالطعام ان يتسوغه بالجرعة من الخمر فهم يعتذرون بهذا العذر . وغير بعيد ان تكون اكثر مبتدعات الصوفية هي الرهبانية التي تجب رعايتها . والتي يقول سبحانه فيها عاتباً على مهمليها ( ورهبانية ابتدعوها

ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ) وليس من العقل ان ينكر المرء كل ما لا يحيط بعلمه . ولا نكون مخطئين اذا قلنا انه انما قص الله سبحانه علينا قصة موسى عليه السلام مع صاحبه من خرق السفينة والاشراف بها على الغرق وقتل النفس الزكية بغير نفس واخذ يوسف أخاه بمتاع مكذوب وسرقة مصنعة وقتل سليمان عليه السلام الصافنات الجياد وهو اسراف بين حظرته الشرائع موءآخذة لنفسه بأنه اشتغل بها عن الصلاة كل ذلك تنبيه على وجوب التزام الادب مع اهل الله اهل العلوم اللدنية . وليكون لهم وزراً شرعياً يلجوءون اليه حين ينكر عليهم ولكن المنكرين يغريهم الحسد بأن يجحدوا ان تكون في هذه الامة المحمدية طائفة هكذا شأنها مثل ما وجدت في سائر الامم وان كانت هي خير أمة أخرجت للناس .

( ومنها قوله ) ان الغزالي يمتاز بقسط كبير من الغفلة والبساطة ذلك بما سطره في الاحياء من الاحاديث الضعيفة .

( أقول ) ذكر الاحاديث الضعيفة في فضائل الاعمال لترغيب العامة وتمكين ما يوعظون به من قلوبهم لا يقل شأناً عن الخطابيات والقصص والحكايات والدكتور نفسه يقول ان خطة الغزالي في التآليف تمتاز بالاعتماد على الخطابيات في اصلاح القلوب ويجعل ذلك من صنيع المهرة الحذاق في المواعظ الفنية وهي سيرة حسنة عنده وبعد ذلك لا ادري كيف يلوم الغزالي ههنا على اتيانه بالاحاديث الضعيفة . نعم يلام عليها لو جعلها جواب الفتوى حين يسئل عن الحرام والحلال وهناك ما هو اصح منها .

لا يضير حجة الاسلام ان يضيق حضرة الدكتور عن تقدير مثله فالبحر الزاخر لا يكال بصاع الشعير ولا يضره ان اسرف في وصفه بالغفلة والبساطة

بعد ان يعرّفه اهل الفضل تارة بحجة الاسلام ، وتارة بالعارف الفقيه واخرى بالفلسفي الحكيم .

أتدرون من البسيط عند النابغة ؟ البسيط من يسمع نداء ولد الصحراء من وراء الف سنة فيجيبه لكل ما يهتف له به ، أو تدرون من هو المغفل عندهم ؟ المغفل كل المغفل من يصدق بحديث خرافة وما ادراكم ما حديث خرافة ، ذكر الكرامات وقيل المعجزات ولا ريب ان الغزالي بهما اول المؤمنين. فلا ريب في انه يمتاز بقسط كبير من الغفله والبساطة وان ضخم في الحكمة سفره، واتسع للفلسفة قمطره .

( ومنها ) انه يسمى الغزالي عنيداً متعصباً بدليل اصراره على ابقاء ما جاء في كتبه من الاغلاط ورمي ناقديه بالغباوة وعدم اكتراثه بآراء الناس ووثوقه بنفسه .

( أقول ) وانت يا حضرة الدكتور قد اراك بنظرة قاصرة أنك خالط وفيما اتيت من تأليفك هذا غالط فلم لا تكترث برأيي فترعوى عما ترى الى الذي ارى ، فعذرك ههنا عذر الغزالي هناك وان تباين العذران .أو يعد من يصر على الحق الصواب معانداً ومن يصم أذنيه عن ملام الجاهلين مصراً ومجالداً ليس الغزالي بالامّع المتردد فيما يصنع وهو لا يقرر الا ما تبين له جلية الحق فيه فما هو براجع عما يرى وهو حجة الاسلام عن قول السفلة الرعاع .

( ومنها قوله ) قد نسى العلماء في الدفاع عنه ان هناك عقلا يجب ان يحكّم وانه ليس يخلو العالم من اصحاب العقول ولو كره الجامدون .

( أقول ) يأبى الله والناس كلهم ان يكون الدكتور هو الشفاف السائل . وان يكون علماء الاسلام هم الجامدون . وانما هي صرخة غرور بكمال مستعار . فهو لما نقل اقوال السالفين في نقد الغزالي اوهم نفسه كما اوهم غيره ان تلك

الايرادات انما هي نتاج قريحته، وإن هي الا ترديد اصوات فريقين يختصمان من قبل فيضرب بعضها ببعض .

( ومنها قوله ) ان نتيجة مباحث الحسن والقبح على رأي اهل السنة انه لا حسن ولا قبح للفعل قبل ورود الشرع . هذا الرأي خطأ من وجهين. الاول مخالفته لجوهر الشريعة فان الشريعة انما جاءت لهداية الناس . ولا معنى للهداية غير ارشادهم الى ما حسن وما قبح من الافعال ليفعلوا الحسن ويجتنبوا القبح. ولو كانت الاعمال خالصة في ذاتها من صفة الحسن والقبح لما كانت هناك حاجة الى الشرائع. الثاني استهانته بالشخصية الانسانية . فانه اذا صح ان لا حكم للعقل قبل وردود الشرع . فان معنى ذلك ان الشخصية الانسانية لا تصلح لفهم حقائق الاشياء . وما ادري كيف صلحت لحمل امانة التكليف .

( أقول ) ان الحسن والقبح يقال لمعان ثلاثة . الاول صفة الكمال والنقص كالعلم والجهل . والثاني ملايمة الغرض ومنافرته ويعبر عنهما بالمصلحة والمفسدة . الثالث تعلق الثواب والعقاب . اما الحسن والقبح بالمعنيين الاوليين وان الفعل بالنسبة لهما اما حسن لذاته او لمعنى في غيره واما قبيح كذلك فلا نزاع بين اهل السنة والمعتزلة في ان مدركهما العقل قبل الشرع وبعده . ومحل الخلاف انما هو المعنى الثالث . أي متعلق الثواب والعقاب . فالاشعري يرى ان الافعال كلها بالنسبة الى الله سواسية . وهو الفاعل المختار . وليس للعقل ان يحكم عليه بشيء فله ان يحب ما نكره ويسميه حسناً يثيب عليه ويكره ما نحب ويسميه قبيحاً يعاقب عليه . وان لم يوافق العقل على هذه التسمية. فهو يخالف الماتريدية والمعتزلة بهذا القدر من الخلاف . وينفرد الماتريدي عن المعتزلي بأن العقل ليس الا آلة لمعرفة الحسن والقبح. وان كان عند المعتزلة انه الموجب للعلم بهما بطريق التوليد. والواقع ان هذا الخلاف الا خير الواقع بين الماتريدي والمعتزلي خلاف لا صلة

له بمباحث الحسن والقبح ، وانما هو من مباحث صدور الآثار هل هي بالاعتماد والتوليد ام بخلق الله سبحانه وتعالى .

واذا عرفت هذا فقد عرفت جملة خطيآت الدكتور ههنا إما جهلا بمباحث الحسن والقبح اوتأفكا عن الحقيقه حرصاً في اسقاط اهل السنة والجماعة ومظاهرة للمعتزلة عليهم . وحسب العقل فخراً ان يدرك من الفعل ماله من كمال ونقص ، وملايمة ومنافرة ، وليس عليه ان يدرك الحسن والقبح بمعنى تعلق الثواب والعقاب ، وهو لولا الشرع لم يدرك ان هناك حياة اخرى فيها دار ثواب تسمى الجنة ، ودار عقاب تسمى النار ، فضلا عن معرفة الحسن والقبح من حيث ترتب الثواب والعقاب عليهما . والعقل بعد ان يقطع النظر عن الفعل من حيث انه كمال اونقص او انه مضر او نافع فأي شيء يدرك منه بعد ذلك لاسيما والحسن والقبح هما من المعاني الجزئية التي تخلعها القوة الواهمة على الشيء بعد ان يرى العقل رأيه فيه ولا دخل للعقل في خلقها وتقديرها .

( ومنها قوله ) ان الاشاعرة يجنون على العقل حين يحكمون بان التحسين والتقبيح لا يكونان الا بالشرع . فالزنا عندهم قبيح لا لضرره كما يحكم بذلك العقل . بل لان الشرع حكم بقبحه وعلى ذلك لو حكم الشرع بحسن الزنا لكان حسناً .

( اقول ) هذا تكرار للمعالطة والافقد علمت ان الاشاعرة لا ينكرون صحة حكم العقل بالحسن والقبح لمعنى النفع والضر قبل الشرع وبعده فالزنا عندهم قبيح عقلا لضرره ، وشرعاً لورود تقبيحه ، ولو حكم الشرع بحسنه لكان عندهم باقياً على قبحه عقلا وحسناً شرعاً لانه وافق حكمة الشارع المختار فيما يفعل .

( ومنها قوله ) ولهذا الرأي نتيجة من اسوء النتائج . وهي الركون الى ماوقع في الشرائع من الاغلاط فقد يندر أن تجد شريعة لم تمتد اليها يد التحريف

فإذا شئت ان تحاكم الى العقل لتنقى الشرائع من اشواب المسخ والتشويه وقف في وجهك الجهال باسم الدين . وقالوا مالنا وللعقل انا وجدنا اباءنا .

( اقول ) العقل لايكون مهيمناً على الشرائع وانما يكف عنها يد التحريف علماؤها القائمون عليها ولذلك تذهب لامحالة بذاهابهم وتموت بموتهم وتحيا بحياتهم.

والمعتزلة انفسهم لا يرتضون العقل حكماً في الدين فإنهم يعترفون بانه قد لا يهتدي في كثير من الامور الى وجه الحسن والقبح فيه . كتحسين الصوم شرعاً آخر يوم من رجب وتقبيحه آخر يوم من شعبان وهذا كاف في احجام العقل عن الحكم في قضايا الشرع . ولو سلم للعقل هذا الفضل لكان ذلك العقل السليم واين ذلك العقل وان ادعاه الناس كلهم اجمعون .

وبالجملة فالتحاكم الى العقل تحاكم الى الطاعوت وبهذا الرأي كذب علماء العصر صحيح البخاري الا بضع احاديث منه وبه ذهبو الى ان كثيراً من آيات القرآن من صنيع بلغاء العرب ادخلوها القرآن كقصة خوارق يوسف وسليمان وموسى وعيسى والنبيين من قبل . ذلك لانها غير معقولة بزعمهم . فصار الدين كانما هوغرض من اغراضهم. اوشهوة من شهوات نفوسهم، اذهم لايدينون غير ما يعقلون . ولا يعقلون الا ما يشتهون .

( ومنها قوله ) إن الغزالي لا يفرق بين كلمة شر وكلمة ضار كما يفعل علماء الاخلاق ، فمن الواضح اني قد اعمل ضاراً لكنه غير شر إذا حسنت النية وخفى وجه الصواب .

( أقول ) الشر والضر صنوان واخوان شقيقان كما يقول الغزالي ولا دخل للنية في تسمية الفعل خيراً اوشراً نافعاً اوضاراً بل عساها تكسب الفاعل وصف خيّر او شرير. والخطأ في الفعل لخفآء وجه الصواب انما يرفع عن الفاعل العقاب والعتاب وان يسمى شريراً في معرض الخطاب ، الا ترى الى قوله تعالى ( وانا لاندري أشر

اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشداً ) وقوله ويخافون يوماً كان شره مستطيراً وليس هنـاك من نية تدعوا الى تسمية الفعل شراً اوخيراً ، على ان الشر يقابله الخير ، فإن صح أن لا يكون الضار خطأ شـراً لزم ان يطلق عليه اسم الخير ضرورة التقابل ، فيكون الفعل خيراً مهما حسنت النية فيه وان اهلك الناس جميعاً على قاعدة الد كتور وتلك سقطة اعمى سحيقة المرمى .

( ومنها ) رده على الغزالي قوله ان علم الشريعة فريضة على كل مسلم والجاهل لا عذر له الا اذا كان حديث عهد في الاسلام يقول انه لعذر ضيق لا يوجد الا في بعض الاحوال .

( أقول ) اذا كان الجاهل بعلم حاله قديم عهد في الاسلام وهو مع ذلك معذور في ان لا يسأل عن ضرورات ما فرض الله عليه فاذاً الاحمق من يتعرض للسؤال عن امور دينه . وخير له ان لا يسأل فيحمل نفسه اعباء التكليف ثم يخاطر بها ان هو القاها عن عاتقه بعد أن يحيط بواجبها علماً .

( ومنها قوله ) ان المرء اذا غلب عليه امره فاعتقد ان الشر خيراً ثم عمل بمقتضى اعتقاده فما ذا عسى ان يكون في رأي الغزالي .

( أقول ) يريد تمهيد العذر لمن يكفر بالرحمن اجتهاداً وانه مثاب على اجتهاده في ذلك مثل ما لسائر المجتهدين في الدين كما يتضح لك من كلمته الآتية وهو رأي بعيد عن حقيقة الدين .

( ومنها قوله ) ان الغزالي يقول اذا حكم قلب المفتي بإيجاب شئ وكان مخطئاً فيه صار مثاباً عليه ومن وجد على فراشه امرأة فظن انها زوجته لم يعص بوطئها ومع هذا لا يعذر الطبيعيين وانه يتهافت في الحكم بتكفيرهم لان الباحث منهم في منافع الاعضاء مثلا مضطر الى الايمان بان النفس تموت فكيف يحكم بكفر

الرجل العالم الذي اقنعه العلم مثلا بان النفس تموت او يرى الغزالي من المحرم شرعاً ان يدرس التشريح .

( أقول ) قياسه كفر من كفر عن قصد بخطأ المفتي المجتهد في فروع الشريعة باذن من الشارع قياس ساميج بارد تدرك القارئ القشعريرة عند ذكراه ويأخذه نافض المقرور بفجواه .كيف وذاك مجتهد على الدين مكذباً لله ولرسوله وهذا مجتهد للدين بامر الله ورسوله فشتان ما بين هذا وذاك ومن الكفر الاضطراري عند الدكتور ما تأثرت به النفس من خطأ اجتهاد او داعي عناد او ميل طبيعة او معتاد بيئة او غير ذلك مما تتأثر به نفس المرء عادة فلا يوجد الكفر الاختياري المعاقب عليه بزعمه الا ان يكون عن ارادة ترجح جانب الكفر على جانب الايمان بغير مرجح مما ذكر. وهذا الكافر غير موجود في هذا العالم المحسوس. والكافر المهدد بالآيات القرآنية كافر موهوم.اذ من كفر عناداً واستكباراً عن الحق على ما يرى معذور ايضاً لان كفره ناشيء عن غلبة طبع غلبه على أمره. واذاً فتكفيره سبحانه ابليس بخطأ قياس أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وحكمه تعالى على الجاهلين بأنهم رجس حين يقول ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ومؤاخذته من ورثوا الشرك عن آبائهم ونفى عذرهم بقوله واذا اخرج ربك من بني آدم الى قوله ان تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل ونحن ذرية من بعدهم كل ذلك من الله ظلم غير مجرمين وتجريم ابرياء معصومين . اما علم التشريح فهو فرض كفاية عندالغزالي لكنه ربما اوجب على طالبه ان يحكم قبل المباشرة به اصول دينه وقواعد ايمانه ويستعين بالتقوى على ان لا يكون التفاته الى احكام المزاج الطبيعي اكثر منه الى قدرة الباري وحكمته وعجائب صنعه وتكون كلمته كلما صادف حكمة لعضو من الاعضاء ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار. فان ظن ان علم التشريح يؤدي

به الى انكار شيء مما ثبت من الدين بالضرورة ثم اقتحم الخوض فيه فلا ريب انه كافر لا يتمارى في تكفيره اثنان .

( ومنها قوله ) انه اذا كانت الشريعة تدعو الى تحكيم العقل كما نطق بذلك القرآن أفليس معنى ذلك انه ليس للشريعة أن تضع بنفسها نتيجة ذلك التحكيم والا كان ايماناً بقوة الحديد .

( أقول ) ليس في القرآن آية ما تدل بمنطوقها او بمفهومها على تحكيم العقل وتفويض الامر اليه بل كلها داعية بكل وضوح الى تحكيم الشرع ووجوب اتباعه كقوله تعالى (ربنا انناسمعنا منادياً ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا)وقوله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)وقوله (ما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً ان تكون لهم الخيرة) وغير ذلك مما هو نص في هذا الباب . نعم ورد في القرآن ما يحض على التنبه للاستدال بالعقل على وجود الصانع وصدق المرسلين كقوله تعالى ( ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب ) وقوله(ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) وقوله(افلم يتدبروا القرآن ولو كان من عندغير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) وقوله(ولبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون)ولا يفهم اي جاهل من هذا احالة امر الشرع الى العقل لينظر نظره ثم بعد ذلك هو بالخيار ان شاء آمن وان شاء كفر حسبما يراه واذاً فما معنى الايمان بما تأتي به الرسل والايمان ليس الا تصديق الرسل فيما يقولون . والشريعة لا تضع النتائج وضعاً كما يعبر الدكتور وانما يضع احكامها علام الغيوب لا يحتاج في علمه الى ترتيب مقدمات يتدرج الى العلم بنتائجها تدرجاً . أكان للدكتور عجباً ان تضع الشريعة الحديد مكان الموعظة حيث لا تنجع ومن آمن بها وبأن السعادة في اعتناقها والشقاء كل الشقاء في اختراقها رآي ان تحشر الناس قسراً اليها انما هو قضاء لحقهم عليها ووفاء

بواجبهم لديها وازاحة لاقدامهم عن شفا جرف هار واخذ بحجرهم عن شفير النار وبئس القرار. وان اراقة دمهم في ذلك اصدق رحمة من اراقة الدمع عليهم، رأفة بهم. وهذه الملوك قد تزع الناس على امر نواميسها وتنزلهم قسراً على احكام انظمتها وقوانينها وترى تركهم وما يرون مع قصور عقولهم اهمالا ينافي الحكمة والرحمة بهم. وكذلك يفعل رئيس العائلة مع عائلته. وهم يدعون الى سعادة متاع قليل. او ليس الشريعة اذاً احق بهذا القسر وهي تدعو الى الفوز الابد والهناء السرمد.

( ومنها قوله ) والحق ان الغزالي مال كثيراً الى ترضية العامة حين بحث عن صحة الايمان حتى رأيناه يذكر ان المرء قد يتكلم بما هو كفر ولا يدري.

( أقول ) لا بل الدكتور هو الذي يميل كثيراً لترضية ابناء العصر فيفتيهم ان الكفر ليس الا انكار ما يسميه لهم فناً كالرقص والغنا ويحل لهم ما وراء ذلك وان كان الجحود بالله واليوم الآخر. فان خلتني بهذا القول مسرفاً فاستمع ما يقول (واي فيلسوف رآى رأياً شاذاً عن حسن قصد فهو ناج ولو كان رأيه يخالف الدين مخالفة صريحة) ولقد اثبت الدكتور فعلا ما حكم به الغزالي في البحث نفسه فمن يستطع من علماء المسلمين ان لا يكفره بهذا الرأي وهو لا يدري لانه رأي يخالف مقتضى قوله تعالى لقد (كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاث) وقوله واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء وحكمه تعالى على إبليس بالكفر تارة وبالفسق أخرى اذ يقول انا خير منه رآى ان اصله النار وأصل آدم التراب وهي خير منه فهو خير من آدم وهذا هو الاجتهاد بعينه وكذلك قول الفريقين قبله كان عن حسن قصد واجتهاد لا عن مكابرة وعناد ولو عني الغزالي بترضية العامة في هذا كما يقول لارضاهم بأن لا يكفر أحداً منهم لا بأن يكفرهم وهم لا يشعرون.

( ومنها قوله ) ان الغزالي قد اسرف في الحكم على الايمان ووفق كل التوفيق حين دعى الناس الى حسن الظن بهم .

( اقول ) لامعنى لحسن الظن بفاعل فعل يصرح بقصده السيء منه فيكذب الله في بعض احكامه وانما يحسن الظن بمن يفعل الفعل لايدرى قصده منه ولحسن الظن اليه سبيل. وهذه غلطة من اغلاطه الكثيرة في مواضع اللغة والاصطلاح

( ومنها قوله ) وعندي ان الرجل لا يكفر الا اذا عرف الحق وعاند .

( اقول ) ان هذا الرجل المعاند قد لايوجد مثله في كل قرن من يبلغ بهم العدد الرهط من الناس والله يقول ( ولقد زرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اذان لايسمعون بها ) افلا يكون لهم عذراً انهم لا يفقهون الحق وفيهم من الجهل ما اصمهم واعمى ابصارهم. وسيعلم المتأمل في قولهم أإذا متنا و كنا تراباً أئنا لمبعوثون. وقوله تعالى وما كانت حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين . وتصويتهم باستبعاد ما يعدهم به الرسل بهيهات هيهات لما توعدون إنهم لم يكفروا الا عن نظر ومحاجة وإنهم لو تبين لهم الحق بأيسر التأمل لاتبعوه وما كانوا معرضين ، وانما أخذ هؤلاء باهمالهم النظر كما ينبغي والحق بين وضاح ونوره كمشكاة فيها مصباح. فلو كان من همهم ان يعرفوه كما كانت الدنيا لادركوه بالقصد من النظر والتأمل. فعلى التحقيق كلهم معاندون مستكبرون .

( ومنها قوله ) ان الغزالي قرر ان لا دخل للعقل في حسن العمل وقبحه وهو يقيس العمل في غير موضع بمقياس الشرع والعقل. فيقول العمل خير إن وافق الشرع والعقل وشر اذا خالفهما .

( أقول ) عساك قد تنبهت مما اسلفناه في مباحث الحسن والقبح الى ان الغزالي لا ينكر ادراك العقل حسن الفعل وقبحه من حيث انه خير أو شر، نفع أو ضر ولا يأبى ان يواطئه الشرع على ذلك في كل ما نهى وامر بل ربما كان عنده ذلك

حتماً لازماً وان محل النزاع بينه وبين المعتزلة هو ان لو شاء الله ان يعاكس العقل في حكمه ما قبح منه . والله يحكم ما يريد. ولما كان الامر كذلك وان نظر الشرع هو نظر العقل وزيادة . فالواجب ان نرجح جانب الشرع على جانب العقل فنقول الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه .

(ومنها قوله) ترى الغزالي يدعوا الى تقليل كمية الطعام حتى تصل الى حمصة. وتطويل المدة حتى تصل الى عشرين يوماً ثم يعد الرياضة رتبة عظيمة . أيرضى العقل والشرع بذلك وهو لا يرضى بأقل من ان يكون جندياً يضرب في الارض ويحرس الثغور .

( أقول ) قد توهم الدكتور ان الغزالي يأمر الناس كافة ان يلقوا حبل الدنيا على غاربها ويهرعوا الى ما يدعوهم اليه من الخلوة والرياضة فتشغر الثغور ويموت الاقتصاد وتتوي الحرف واسباب الحياة وعلى اثرها الدين . كان الغزالي يدعو الى هذه الرياضة وهو في شك من ان يكون فيها ثاني اثنين وان بذل في دعوته جهد المستطاع. ولو اوفض الناس اليه جميعاً ما امسك عليه منهم الا النزر الذي لا يصلحه الا هذا الشأن. ولا يصلح هذا الشأن الا به ولرد البقية كلا الى ما تيسر له.

ومع هذا فان الغزالي لا يرى ان يقضي المتريض كل حياته في هذه الرياضة والخلوة بل يريث فيها ريثما تنكسر اخلاقه السيئة بمعالجة الاضداد فتعود الى الاعتدال . والدكتور نفسه غير منكر لذلك وانت قريب عهد بما كتب في صحيفة ( ١٦٧ و ١٨٣ من أن المقصود من الرياضة ليس اماطة ما فطرت النفس عليه من الاخلاق بل المقصود ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط . ولو دعى الغزالي الناس للانقطاع الى الله بالكلية لكان له اسوة بقوله تعالى ( واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا ) . وقوله ( ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى) وقوله

تعالى (وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما اريدأن يطعمون) وهو سبحانه يعلم أن دعوته لا تقضى على حكمته كما فهم الغزالي فهي (حكمة بالغة فما تغني النذر) (ولا يزالون مختلفين ولذلك خلقهم) وقد دعى سبحانه الكل الى التبتل تارة وأخرى بين أن البشر لايستطيع كلهم ذلك اذ علم أن سيكون منهم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله. والمؤمن كما يجب عليه ان لاينكر تأثير هذه الاسباب الماديه ويحسب انها انما خلقت لتشغل فراغ العالم عبثاً يجب عليه ان لا يقصر النظر عليها فيرى ان قوماً لم تتوفر لديهم اسباب القوى المادية يستحيل عليهم ان يرثوا الارض ويمتلكوا اقطارها بقوة معنوية وعناية ربانية وإن استقاموا على الطريقة وكانوا لله كما يريد. والا كان من اللغو قوله سبحانه في الانبياء (واوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد) وقوله (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغاً لقوم عابدين) وقوله (اذ يوحي ربك للملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) وقوله (فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها) وقوله (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله لعلكم تفلحون) وقوله (قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لاولي الابصار.

(ومنها قوله) ان الغزالي يصف عيسى بما لا ينبغي ان يوصف به الانبياء بمناجاته ربه ستين صباحاً بلا طعام وهو مسؤل عن الدعوة في دينه وقل ما ينجح في الدعوة ضعيف والانبياء لا يكونون كسالى ولا واهنين.

(اقول) ذهب الدكتور الى انه لاينبغي ان توصف الانبياء باقل مما يتصف

به المترفون في قصفهم وترفهم ورفاهية عيشهم وكأنما كان يرى ان عيسى كان يناجي اذ ذاك دهقان قرية ليس إلهاً يستطيع ان يمده بالقوة التي تحصل له من طعام تلك المدة. والا عجب يا حضرة الدكتور من الصبر على الطعام تلك المدة مناجاة بشر خالقه كفاحاً وجهاً لوجه فالاجدر بانكارك هذا لاذاك . واذا كسل عيسى عليه السلام ووهن من الجوع تلك المدة اليسيرة في عمره فهل لا امكنه ان يقيم بعد ذلك مدة على الطعام والشراب مثلها ليتعوض من القوة مافاته منها ثم ما باله يكسل ويوهن بقية عمره بسبب ذلك الجوع في تلك الايام القلائل .

( ومنها قوله ) ان الغزالي يستكثر على المريد ان يضيع وقتاً في شراء الطعام وطبخه وغسل يده وتخليل اسنانه وما اظن امة تفهم الاخلاق هذا الفهم ثم تقدر على الجلاد في عالم الاحياء .

( اقول ) لا يفهم اقل هذه الامة فهماً ما قد فهمه حضرة الدكتور ويعلمون ان دعوة الغزالي لهذا المقام تختص بالمريدين وهم الملكوتيون السابقون الملائكة على ان يسبحوا الليل والنهار لا يفترون. وهم لقلتهم في الناس لا يضر بالمجتمع الاسلامي فقد اضعافهم منه على ان نتيجة رياضتهم وملازمة ذكرهم هي التي تمد عالم الاحياء بالقدرة على الجهاد .

واما السارطون الثالطون فشركاء البهائم في نقل الاحمال وحمل الاثقال فالانسان قوى بقلبه لا بقالبه والرياضة حياة القلوب. كان عليه الصلاة والسلام يواصل الصوم ويديم الجوع ويعصب الحجر على بطنه منه ويقول ( ان الشيطان يجري من ابن ادم مجري الدم فضيقوا عليه بالجوع ) وكان ينقطع عن الناس الى خلوته في غار حراء يتحنث به الليالي العددية ويدثر بما يحول بين شعوره وبين هذا العالم حتى نودى ( يا ايها المدثر قم فأنذر ) فشمر للاجابة عن ساعد الجد وصدع بامر ربه ولم تقعد به الرياضة عن شيء حتى فعل ما فعل . ولن يستطيع الدكتور

ان يشكك الناس في هذه الاخبار الا ان استطاع ان يشككهم في انفسهم وما هو بمستطيع . ومن العبث المماراة في انكار شيء قدائبت الواقع انه الحق المبين .

(ومنها قوله) وانا ارجح الرأى الاخير اي كون الارادة دائرة بين الجبر والاختيار لان الواقع ان هناك مؤثرات تحمل الارادة على الاتجاه الى جهة معينة كالوراثة والصحبة والبيئة والظروف الخاصة والارادة فيما عدا ذلك حرة مختارة. والذي ورث عن ابيه أوامه خلقاً يصير مضطراً اليه .

(اقول) اتخذ الدكتور في الارادة مذهباً رابعاً من حيث يحسب أنه المذهب الاخير مما ذكر . لان معنى دوران الارادة بين الجبر والاختيار على مذهب القائل به أنها دائرة في نفس فعل واحد . اي ان ذلك الفعل هو لله خلقاً وللعبد كسباً . وأما على مايراه الدكتور فالعبدتارة يكون مضطراً محضاً وهوحين يفعل بسائقة تلك الاسباب التي ذكرها واخرى يكون مختاراً محضاً وذلك حين تجرد الارادة من داعية وراثة وصحبة وتاثير وظروف وبيئة حتى يكون العبد إلهاً مطلقاً يريد بالعناية المحضة لا بداع من الدواعي وعند ذلك يحق الثواب والعقاب .

أفيكون الكفر تراثاً عذراً لمرتكبه واذاً فبم قوم نوح اغرقوا فادخلوا ناراً و كفرهم وفجورهم كان موروثاً عن آبائهم فهم لم يلدوا الا فاجراً كفاراً . ولم تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا لما رأوا العذاب و كيف لم يعذر سبحانه الذين ورثوا الشرك عن آبائهم حين يقولون انما اشرك ابؤنا من قبل ونحن ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون وسيعذب القائلين انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون .

وكلام الدكتور ههنا صريح في الرد على هذه الآيات البينات وهو غير كافر بذلك عند نفسه لانه يستفتيها وان افتاه المفتون فتقول له واي فيلسوف رآى

رأياً شاذاً عن حسن قصد فهو ناج وان كان رأيه يخالف الدين مخالفة صريحة . ولا شك انه يرى نفسه الفيلسوف الكبير والمجتهد الخبير .

(ومنها قوله) ان الغزالي لا يفصح عن قيمة ما في اعمال المرء من الاختيار فهي في رأيه ليست جبراً لانها تفترق عن الرعدة . وهي ليست اختياراً لان المرء لا يحيط بتفاصيل ما لحركاته من الاجزاء . مع ان الاختيار لا يتوقف اثباته على معرفة الاجزاء .

( اقول كلامه في هذا الموضع مصادرة على المطلوب . لانه بحكم قوله ان الاختيار لا يتوقف اثباته على معرفة الاجزاء لانه لا يتوقف على معرفة الاجزاء فان كان له برهان آخر غير هذا على عدم التوقف فليأت به . فإن استشهد باختيار الله فهو كفر والحاد لانه بكل شيء عليم . وان باختيار العبد فهو محل الخلاف . والنزاع جذع بعد فيه على ان اجزاء تلك الحركات ايضاً هي فعل من افعال العبد كالذي يستتبعها من الافعال الغائية فكيف يكون العبد خالقها وهو لا يعلمها الا يعلم من خلق .

( ومنها قوله ) أنا لا أفهم ما هو الكسب الذي يقرره اهل السنة ويشايعهم الغزالي في إقراره والكسب ايضاً مراد الله اذاً فما الذي للعبد المسكين .

( أقول ) وجدير بمثل الدكتور ان لا يفهم مثل هذه الدقيقة التي حار فيها من هو أكبر منه حتى يفهم معنى قول القائل الفعل لا يتم الا بين فاعل وقابل. والقابلية صفة أزلية للممكن لازمة له حيث كان . فالله يخلق فعل الصلاة مثلا في العبد ولكن بمساعدة قابليته لذلك والا فلم لم تجرِ سنة الله بخلق الصلاة يوماً في شجر أو حجر . وحتى يدرك معنى قول محي الدين بك حكم عليك . وتقريبه انك مجموع خلق ظاهر من يد ورجل وسمع وبصر وردف وعطف الى سائر اعضائك الظاهرة . وخلق باطن من حب وشهوة ورضى وسخط وعلم وحلم الى

غير ذلك من عامة وجدا نياتك الباطنة . ثم انك تتعقل كل واحدة واحدة من تلك المقومات لماهيتك وتشعر بها شعورك بالشيء الخارج عن ذاتك فهي غيرك ضرورة التغاير بين العاقل والمعقول . وقد تراك محكوماً عليك بها فلو شئت ان تدفع أثراً من آثارها عنك كان تريد ان لا تسمع او تبصر او لا تغضب او ترضى لا تستطيع ثم تنظر نظرة أخرى مطمئنة فترى انك لست غير مجموعها فاذا هو بك قد حكم عليك . وللشيخ الاكبر امثلة في استهلاك فعل العبد في فعل الله كقوله (الفعل بين العبد والرب كلام ألف ( لا ) من الحروف لا يدري اي فخديه الف وايهما اللام) وقوله (فعل العبد في فعل الرب كحركة النملة الدابة على الرحا في حركة الرحا فهي مندرجة بها محمولة فيها وان تحركت الى خلاف الجهة التي تتحرك اليها الرحا) ولله المثل الاعلى وهو العلي الكبير . والذين لا يؤمنون بما فتح الله به على اهل معرفته يقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ، والجاهلون لا يفرقون بين مثل هذا الجواب وبين صرير باب . او طنين ذباب . فانهم لا يفقهون كثيراً مما نقول . ولان تعذر على حضرة الدكتور فهم ما قررناه فلنضرب له مثلا محركاً يشهد حركة محسوسة في آلاته . واذا سئل عنها اضطر ان يسند الحركة اليها . ثم اذا فكر نفي ذلك عنها ضرورة على انها جمادات لا تتحرك بطبعها ، وهي بمنزلة الاعضاء في الانسان . فينتقل بفكره فيرى الباعث لهذه الحركة ( النار مثلا ) التي بمنزلة الدم فيه، ثم ينظر نظرة أخرى فلم يجد لها اثراً محسوساً في تلك الحركة ، اذ لا يراها الا جسماً لا تأثير لها بذاتها ، فيريدان يعمق النظر فينتقل الى ما تبعثه من البخار بواسطة حرارتها وذلك اشبه من وجه بالروح في الانسان. اذ هو الباعث الاول لهذه الحركة. واذا ما تعمق في التحقيق وقف وقفة الحائر حيث لا يستطيع ان يحصر تلك الحركة فيه ايضاً فيرشده العقل السليم الذي بمنزلة الايمان فيه الى ان هناك قوة معنوية لا

تدرك الا بعد التدبر وتلك بعينها السر الالهي المحرك لكل شيء. عند ذلك يؤمن ان ليس لتلك الآلات الا كسب الحركة الظاهرة المحركة بتلك القوة العظيمة. وهكذا مثل الكسب في الانسان

واما قوله والكسب ايضاً مراد الله تعالى فهو إشكال او رده اهل السنة على انفسهم . وليس من الحشمة ان يستعير المرء سلاحاً ثم يستشيط به على المعير .

( ومنها قوله ) والحق ان هذه وسوسة اوقعهم فيها الخلاف واساسها انهم يحسبون حرية الارادة خروجاً على الله في ملكوته فان حرية الارادة لا تضر الله شيئاً فما بال اهل السنة يأبون الا ان تكون طرفة العين وهي حركة طبيعية اثراً لارادة الله تعالى .

( أقول ) الدكتور لا يتعاظمه ان يسمى الحق الصواب وسوسة واهل السنة والجماعة موسوسين وذلك لانه ليس من اهلها فتراه حين يذكر اهلها وينسبهم اليها يتحاشا كثيراً عنها . ويجد في الهرب منها ، ونحن نريد أن يتظاهر بما يضمره من مقتها وعدوانها . ليحمل القارئ كل ما يقول في حق أهلها على تلك العداوة والبغضاء .

ما كان اتخاذ اهل السنة هذا المذهب القصد بين الجبر والاختيار شهوة من شهوات نفوسهم ولا هجموا عليه جزافاً عادمين روية وبصيرة فيه ، ولكن أرادوا ان يقولوا بالجبر المحض ذادهم عنه قوله تعالى ( إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ) وقوله ( جزاء بما كانوا يعملون ) وقوله ( من عمل صالحاً فلنفسه ) فهو سبحانه ينسب الاعمال اليهم ويكلفهم بها وهو ليس بظالم فلا يكلف الا مختاراً . ثم همّوا أن يقولوا بالاختيار المحض فلما سمعوا قوله تعالى ( وما تشاؤن الا ان يشاء الله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله ) وقوله ( والله يحكم لا معقب لحكمه ) وقوله ( وما رميت

اذ رميت ولكن الله رمى ) احجموا عنه فكان مذهبهم الوسط بين المذهبين كاللبن الخالص السائغ من بين فرث ودم . وبعد فمنهم من آمن به إيماناً وهو على جانب من الاشكال فيه . ومنهم من سبر غوره فعلم انه الحق فجعل يضرب للناس الامثال فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وأما حرية الارادة. فنعم هي لا تضر الله شيئاً كما لا يضره الشرك الخالص وان حرّمه وأخلد القائلين به في العذاب الاليم . لكن أهل السنة لم يتكلفوا القول بذلك وقاية لله مما يضره ، وانما قالوه نزولا على حكم الواقع في نفس الامر ، وتصديقاً لما جاء في ذلك من كتاب الله تعالى فهو القائل ( وما تشاؤن الا ان يشاء الله ) ما انا قلته ولا الامام حجة الاسلام. فان يجعل كلام الله وسوسة وضلالا فهو خصمه لااهل السنة والكتاب. وليس الامر قسمة بيننا وبين الله تعالى حتى نرضى بان تكون طرفة العين لنا ودورة الفلك له ) والحركات كثيرها وقليلها سواء فإما ان تكون كلها لله أو تكون كلها لاسبابها ومباديها التي تصدر عنها . وما ثَم حركة تتسلسل طولا وعرضاً من العرش الى الفرش طبيعية كانت او اختيارية او قسرية الا وهي عن سبب من الاسباب واذاً فليس لله في هذا العالم اثر من الآثار . وهنا هجمنا من الرجل على امرين انه طبيعي تقليداً . وانه لا يفرق بين الحركة الطبيعية والحركة الارادية . فان حركة طرفة العين حركة ارادية اختياراً واضطراراً ، وهو يسميها طبيعية وأين الرجل الطبيعي من هذه السقطات .

( ومنها قوله ) لا خلاف في ان الله واهب القُدر ولكن ليس معنى ذلك انه يسيرها انى شاء ومتى شاء والا كان التكليف ضرباً من العبث فلم يبق الا ان الارادة حرة .

( أقول ) ونحن نسأل الدكتور ما معنى قوله تعالى ( وما تشاؤن الا ان

يشاء الله ) وقوله ( ما أصاب من مصيبة الا بأذن الله ) وأمثال هذه الآيات فننظر ماذا يجيب ، ونتوقع ان يكون جوابه دائراً بين ثلاث . إما الكفر بالآيات . أو التكلف بالتأويل او السكوت مسلماً تسليما ، ويجوز ان يكون التكليف الشرعي لاحد امرين إما لدعوانا بأنا نحن الذين نفعل ونترك على ما نجده من الاختيار في انفسنا وتكيف به أذواقنا ونسميه اختياراً عادة في مقابلة الحركات القسرية فلا نعذر أحداً في فعل سوء بنا ، وإما لان التكليف سبب عادي لاستتباع فعل المأمور به ممن صلحت فطرته ، وحسنت شاكلته ، كفعله سبحانه في ترتيب المسببات على الاسباب ، وهذان الجوابان لغير المحقق ، أما المحققون فجوابهم ما قد علمته قريباً قبل فصلين .

ولو أردنا الاحتجاج بقوله تعالى( ولله الحجة البالغة ولو شاء لهداكم اجمعين ) وقوله ( لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ) وقوله ( هؤلاء الى الجنة ولا أبالي وهؤلاء الى النار ولا أبالي ) لما كان الاحتجاج منا ببدع . وأما الذين في قلوبهم مرض فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . فقل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا .

( ومنها قوله ) ان الغزالي يتكلم في تربية الارادة فاذا كان ما أريده عين ما يريده الله فأي الارادتين أربى .

( أقول ) ما كان الغزالي يحسب ان الارادة فلوة والقلب اصطبل ربطت الى جانبه فهي تربى وتعلف بالبقل والفول ولم يذهب ذاهب الى أن الارادة شئ محسوس يلمس بالايدي ويبصر بالاعين حتى يفهم التربية على ظاهرها ، وانما يريد بالتربية ان يجتهد المرء في اصلاح نفسه واخلاقه . ليكون قابلا لان تفيض على قلبه ارادة صالحة توافق المحل كما تفاض الروح على المزاج الجسدي فان وجدته صالحاً قد اعتنى بتسويته كانت روحاً ( خيرة ) لا تأتي الا بخير وان وجدته فاسداً خبيثاً انصبغت بصبغه فكانت نفساً شريرة لا تأتي ابداً بخير .

( ومنها قوله ) ان الغزالي متناقضاً في قوله لاينبغي ان يترك العمل خوف الرياء فإن ذلك منتهى بغية الشيطان . وحكمه على العمل الذي غلب فيه الباعث النفسي بانه مضر ومفض للعقاب .

( اقول ) انما ينهي الغزالي عن العمل الذي يتحقق فيه غلبة الباعث النفسي اومساواته للباعث الديني لاعما يخاف منه الرياء على احتمال غير قريب . او يكون الباعث النفسى فيه اضعف وهو يجاهد في طلب الخلاص منه .ولا لوم على حضرة الدكتور ان يخطيء كثيراً في فهم كلام الفقيه والصوفي فهو اجنبي منها ، وقد درس مصنفاتهم ومكتوباتهم غير متروٍ في معانيها ، وانما مر عليها مروراً ليلتقط ما تسنح له فيه فرصة التنقيد عليهم ، اذ هو من معشر يرون نقد اوائلهم وتقبيح صور مباديهم اصعد سلم يرتقون به سماء المجد والشرف .

( ومنها قوله ) كان على الغزالي ان يفرق بين العمل في ذاته وبين غرض العامل منه لان العمل الطيب غير ضار في ذاته وان ساء الغرض منه . والمفروض اننا نتكلم عن اعمال هي في نظر الشرع طاعات وهي في ذاتها خير نافع فكيف تنقلب بسبب النية ضارة .

( اقول ) يعتذر الدكتور هنا عن الغزالي من حيث ينتقده الا تراه كيف يفرض الكلام عن الاعمال في نظر الشرع والشرع هو القائل ( انما الاعمال بالنيات ) اي من جهة الثواب والعقاب . أفيري الدكتور ان من دس له في الطعام سماً ليقتله ثم صادف ان اكله عدو له فمات افكيون ذلك الفاعل قدا ستحق على هذا العمل الثواب منه . وان من القى اليه بدرهم لينتفع به على حين حاجة اليه ثم اتفق ان شج رأسه أفيكون قد استحق هذا المحسن بهذا العمل الضار بذاته ان يعاقب عليه . وقوله هى في نظر الشرع طاعات وهي في ذاتها خير خطأ اومغالطة اذ قد تكون خيراً بالنسبة للمخلوق في ذاتها ولا تكون طاعة لله بل

قد تكون معصية كمن ينفق ماله للفقراء، اعداء الدين ليتقووا به على قتال اهله ، وبالعكس . والعمل الضار لا ينقلب نافعاً والنافع ضاراً لذاتيهما بل باعتبار الثواب والعقاب ، وذلك امر ليس طبيعياً للعمل ، بل يقع بمحض اختيار الله على النيات.

(ومنها قوله)إن الغزالي يجعل وضع القصص من نزغات الشيطان وهو يذكر في كتبه قصص الانبياء والصالحين مالم يقم على صحته دليل والرواية الكاذبه ليست اقل خطراً من التأليف .

( اقول ) يرى حضرة الدكتور من يفتري الكذب عمداً ومن يروى الاخبار تحتمل الصدق والكذب لرواج قصد حميد سوآء وهذا رأي غير سديد لايراه احد سواه. ويحك ان لم يكن وضع الكذب من نزغات الشيطان فاي شيء بعده يكون الا لعنة الله على الكاذبين . واي شيء يتبع باللعنة لا يكون من عمل الشيطان .

( ومنها قوله ) ليس للغزالي رأي محدود فى الفطرة البشرية فهو يراها تارة خالصة تصلح لكل شيء وتارة يراها اميل الى الخير منها الى الشر .

( اقول ) للفطرة البشرية عدة وجهات من كونها ذات نفس شهوانية وروح ملكوتية وقلب لطيف برزخي وعقل مجرد قدسي والغزالي يتكلم عن كل وجهة من هذه الوجهات بما يناسبها وما هولها من الاحوال وقد جاء الشرع بمثل هذا فتارة يمدحها ويقول فطرة الله التي فطر الناس عليها . ولا اقسم بالنفس اللوامة ويا ايتها النفس المطمئنة واخرى يذمها ويقول ان النفس لامارة بالسوء وانه الهما فجورها وتقواها الى غير ذلك وان كثيراً من الناس كحضرته عن هذا غافلون.

( ومنها ) اعتراضه على الغزالي كيف قرر ان من الناس من ولد حسن الخلق بفطرته بحيث لا يحتاج الى التعلم كعيسى بن مريم ويحيي وذكريا عليهم السلام واستدل لاعتراضه باختلاف العلماء في عصمة الانبياء قبل الرسالة .

( اقول ) على اي لغة وباي اصطلاح لا تطلق كلمة حسن الخلق الا على من عصم حتي من جميع الصغائر الجزئية التي لا يكاد ينفك عن مثلها بشر ذو سحر وحينئذ فاين موضع هذه الكلمة التي ما وضعها الواضع لتهمل سدى وقد استفدنا من كلمة الدكتور هذه انه يرى ان لابد لكل نبي من معلم يعلمه ويهذبه فما هم عليه من مكارم الاخلاق هو نتيجة ذلك التعليم. بقي على حضرته ان يتفضل علينا ببيان المعلم الذي علم نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام ذلك الخلق العظيم الذي نوه عنه سبحانه في التنزيل أكان أبا جهل أم أبا لهب ام أي اعرابي من أبناء تلك الصحراء الجاهلة .

( ومنها ) انه لا يرى صحة قول الغزالي ( ومن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على ما في كتاب الله من صفات المؤمنين والمنافقين ) يقول الدكتور والظاهر انه لا يكفي دائماً ان يحاكم المرء في القرآن فقد تكون هناك خلة واحدة تحتاج الى تحرير اذ لا يدري المرء اهو مخطئ في التخلق بها ام مصيب . يقول وقد نبه الغزالي لهذه النقطة في غير هذا الباب وقال في علاج البخل مثلا هو الاعتدال والوسط بين التبذير والتقتير واذا أردت أن تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه الخلق . فان كان أسهل عليك والذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له فعالجه بضده .

( أقول ) كثيراً ما يرفع حجة الاسلام الحكمة فيعلقها بالثريا فتجد حضرة الدكتور يفتش عن ظلها في الثرا فتنفرج مسافة الخلف بعيداً بينهما لذلك . وأنت بقليل تأمل تفهم من قول الغزالي ومن اشكل عليه حاله ألخ معناه ان من لم يرزق تلك الدراية التي تؤهله لان يزن أحواله بالموازين التي يضعها الغزالي فعليه ان يتعرف احواله اجمالا يعرضها على القرآن فان فيه ذكر صفات المؤمنين والمنافقين ظاهرها وباطنها ، فما وافق منها صفات الاولين ثابر عليه وجد في

ايصاله. وما وافق منها صفات المنافقين جد في الهرب عنه واجتهد في استئصاله ، ولما أغفل الدكتور هذا المعنى كشأنه في كثير من المسائل جعل اول الكلام مناقضاً لمتممه ومؤكدِ حكمه .

( ومنها قوله ) قد علمنا أنهم اي الصوفية والغزالي على أثرهم يعالجون الكبر اذ ذاك بالسؤال ، وهذا فيما أرى استشفاء من داء بداء فقد يولد السؤال امراضاً في النفس تحتاج في اقلاعها الى مجاهدة وعناء ولكن الصوفية يبيحون مالا يباح .

( أقول ) ان هذا المعالج المذكور هو ذلك الناسك الحذر والفطن الذي قام على نفسه بالموازين القسط التي وضعها أمثال الغزالي والعهد بنقل الدكتور عنها غير بعيد . وأنت خبير بأن الدواء في المعالجة يقدر بمقدار الضرورة ففي السؤال بأن يكون غباً غير مسترسل فيه. وان يكون المسؤول غير شيء يعتد به. ومن غير حاجة اليه. وان لا يسأله ليمسكه ويرتفق بأمره. بل ليرمي به من فوره. ان لم يجد الى جانبه فقيراً يؤثره به. ثم يمسك عن السؤال كما شعر باقلاع نفسه عن رذيلة الكبر المهروب عنه. وبعد فكيف يتصور ممن هذا شأنه ان يغفل عما يتنبه له مثل حضرة الدكتور وقد أبيح لبني اسرائيل ان يقتلوا انفسهم توبة مما فعلوا ولابراهيم عليه السلام ان يقول بل فعله كبيرهم هذا ليسجل على الوثنيين ضلالهم باعترافهم أنهم يعبدون ما لا يفعلون ولا ينطقون . ولسليمان الاسراف بقتل الخيل للاستشفاء من داء حب الخير ، وللمضطر في مخمصة غير باغ ولا عاد ان يأكل لحم الميتة والدم ولحم الخنزير . أو يلام من يعالج داء كبيرة الكبرياء بصغيرة السؤال حين لا يرى مخرجاً من تلك الا بهذه . افيرى حضرة الدكتور انه اعلم من حجة الاسلام بامر الحلال والحرام . ام هو احرص واغير على دين الله منه. ام اشد ذكراً للعاقبة او حذراً من مقت الله لمخالفيه. لا لا يرى احد والله هذا الرأي ولا الدكتور نفسه .

( ومنها قوله ) ان غاية الاخلاق فيما يرى الغزالي هي السعادة الاخروية وهذا يدل على ان الغزالي ليس له غاية اجتماعية فالذي يسعف مريضاً او يغيث ملهوفاً لا يهمه شفاء المريض ولا اغاثة الملهوف ما دامت نيته خالصة في عمله ووثق بجزاء الآخرة ، وكل سعادة ينتجها العمل الطيب في هذه الدنيا انما هي عنده سعادة مجازية وان من يتجنب الفحشاء على كرامته لا يسمى عفيفاً . لانه لم يقصد بعفته وجه الله فكل عمل تجاره وترك حظ لحظ يماثله .

( أقول ) وكذلك الدين يرى ان غاية الاخلاق هي السعادة الاخروية والآيات صريحة في ذلك كقوله تعالى ( وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون ) وقوله ( الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً ) وقوله ( انما الحياة الدنيا لهو ولعب ) وقوله ( أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون ) فان هذه الآيات البينات تشعر قلب المؤمن العاقل ان هذه الحياة الدنيا انما هي ضرب من العبث الباطل تذهب جفاء بالموت والفناء . لو لم تكن لها غاية اخروية وكذلك العقل السليم يرى ما يراه. وقوله وهذا يدل على ان الخ . هو ذلة قدم وسقطة قلم، لانه لا يلزم الذاهب الى ان الغاية هي الآخرة ان لا يكون له اعتناء بنظام الاجتماع . كيف وانتظام سعادة الآخرة منوط بنظامه وقد علمت كيف يعني الشرع بما تصلح به البيئات والمجتمعات من بيان الحقوق ووضع الحدود . وكذلك الغزالي فيما كتب وحرر في احكام الشريعة بالرغم عما يراه من ان الغاية هي السعادة الاخروية . وهي المقصود اولا وبالذات ، والدنيا ثانياً وبالعرض ، فالدنيا من الآخرة كالجثة من الروح ، او المقدمة من النتيجة ولا يلزم من رؤية الاخريين الغاية المقصودة اهمال أمر الاوليين والذي يسعف مريضاً أو يغيث ملهوفاً ففي امره تفصيل . فان كان داعيه رقة عواطفه وجودة مروءته فقط . فهو مجزي عليه في الدنيا فقط .لقوله تعالى ( نوف اليهم اعمالهم

فيها وهم فيها لا يخسرون ) وان انضم الى تلك العواطف ارادة وجه الله ايماناً واحتساباً فهو المجزى في الدنيا والآخرة واولئك هم المفلحون . لقوله تعالى ( ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيهاوهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا). وان كان داعيه الثواب فقط وهو مع ذلك قاسي القلب غليظ الطبع لا يهمه الشفاء ولا الاغاثة فهو مجزي على ذلك في الآخرة فقط ايفاء بوعده سبحانه والله لا يخلف المعياد . ( واما ان كان داعيه خيال المدح وتصور الثناء واكباره في الصدور فذلك التاجر المفرض الذي لا خير فيه لنفسه . وانما ينتفع به المنتفعون به . والدكتور يخطئ الغزالي في رأيه سعادة الدنيا سعادة مجازية . ونحن لا نشاغبه في اطلاق الاسماءعلى المسميات فليس ذلك من المسائل الجوهرية التي تختلف فيها الانظار . وهي بباب الاوهام والخيالات ادخل والصق منها في مطارح العقول ومعترك الآراء . فقد يتوهم المرء في الشئ سعادة حقيقية وهو في نفس الامر ليس كذلك كصفو الدنيا مثلا فانه في نظر القاصرين المنهمكين في لذائذها والمتعشقين بها سعادة أبدية لا يشرئبون الى ما وراءها وهي محدودة جداً . ولا يتحاشون أن يطلقوا عليها اسم السعادة وان ترنقت وشيبت كل يوم بألف منغص وألف ألف مكدر . واما من يتجنب الفحشاء ابقاء على كرامته وهو في نفسه ذو شره وشبق لا يمنعه عما حرم عليه الا خوف الحط بكرامته . فهو باسم المرائي ومحب الجاه اولى منه باسم العفيف . فان العفة ليست عملا من اعمال الجوارح ولا حركة من حركاتها وسكنة من سكناتها.وانما هي خلة تعلق بالقلب وتلصق بالنفس . فان كانت خلة طبيعية فالمتصف بها انسان وبشر لا أقل ولا أكثر وان ضم الى ذلك معناها الديني بمعنى انها الكف عما حرم الله فهو المؤمن العاقل والانسان الكامل . واي فرق يراه الدكتور بين من يتجنب الفحشاء خوف ان يؤذي بضرب السياط ويرجم بالاحجار . ومن

يجنبها خشية أن يؤذي بالعار ونسبة الشنار . او بين من يفعل الخير يؤجر بالحمد والثناء . وبين فاعله ليجزى بالسكة البيضاء والصفراء . ولو كشف جسم المرائي عن مكنون ضميره فعلم العامة رياءه باعماله واغراضه منه للقبوة بالمخادع الختال بدلا عما كانوا يلقبونه بالمحسن المجيد . ولا ثواب الا على عمل يراد به وجه الله . أليس الله ما خلق الانس والجن الا ليعبدوه . وكل حركة وسكون ظاهراً وعقد قلب ونية خفية باطناً تصلح ان تكون عبادة بأن يراد بها وجه الله . وعادة بأن لا تكون كذلك ومعلوم ان الثواب اجر على العبادة لا العادة.

( ومنها قوله ) واذا كنت تتخذ العقل مقياساً للخير والشر فخبرني ايجد العقل ما يحكم به على ضرر الزنا وانه شر اكثر من انه مؤذ بالصحة ذاهب بالكرامة.

( اقول ) انما يعلل لتحريم الزنا بفوات الصحة اولئك الذين ينزلون بالقرآن على حكم الفن في كل ما جاء به ليعرفوا بالنابغة المتنورة ولو كانت علة تحريم الزنا ضرره الصحي بتعاور العورات على البضع واختلافها عليه لاندفع ذلك الضرر بان يتخذ الزاني بغياً واحدة سلماً سليمة لا يشترك معه فيها أحد ولو كان السبب ذهاب الكرامة لاندفع ذلك بالتواطيء على الزنا وسنه عادة مطردة . اذ العقل لايفرق بين وطئة الزنا ووطئة الحلال لان الفعل واحد وإنما تقبح الاولى دون الثانية لانها عار عادة . فلو اتخذ الزنا هو العادة كان بذله عند العقل لامحالة جوداً وسماحة في مكارم الاخلاق . وانما حرم شرعاً وعقلا لاختلاط الانساب . وضياع الذرية لاتعرف لها آباء يعيلونها والاقتتال في الازدحام على الجميلات وضعف الميل الى الزوج الحلال المخل ببنية النسل . واختلال امر العائلة وتدبير المنزل بضعف الحب للزوجات لانشغال القلب بحب غيرهن . وليس السبب مايذهب اليه الدكتور .

( ومنها قوله ) ان الغزالي يسخر ممن يرون السعادة الاخروية في نعيم الجنة

وما فيها من الحور والولدان . وان نطق بذلك الكتاب ورأى ان سعادة الآخرة هي رضاء الله .

( أقول ) انما سخر الغزالي ممن يدعون الكمال وهم لا يتصورون لذة فوق لذات ذبذبهم وقبقبهم . وأغفلوا ان الله سبحانه يستحق العبادة لذاته ولو لم تكن له جنة ولا نار ، وان لذة النظر الى وجه ذي الجلال والاكرام هي السعادة التي لا تعد في جنبها الجنة بما فيها سعادة مثل العاشق المستهتر بجمال معشوقه لايزل نظره عن وجهه الى ما حوله من الجنات زهداً فيها بمعشوقه وفي ذلك يقول سبحانه(ووجوه يومئذناضرة الى ربهاناظرة) ورضا الله اعلى السعادات وان كان ليس بشئ عند امثال حضرة الدكتور ، وفيه يقول سبحانه ( رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم ) ويقول ( ورضوان من الله اكبر )اي من نعيم الجنة وفي المرضيين يقول ( في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وهذه سعادة المقربين ، اما الجنة فهي سعادة الابرار ، والغزالي لا يخالف منطوق القرآن في عدم اطلاق السعادة على الجنة في حق الابرار ، ولكن الدكتور لا يفقه كثيراً مما يقول .

( ومنها قوله ) افلا يصح لنا قياساً على هذا ان نعد الطمع في السعادة الاخروية عند اغاثه الملهوف واسعاف الجريح ينافي ما تسموا اليه الاخلاق . وان واجب الرجل الخير ان يرى سعادته في سعادة من اغاثه وآساه لا ان يلقى جزاء على ذلك في الآخرة .

( أقول ) هذا قياس رضى المخلوق برضا الخالق سواء أكان ذلك المخلوق كافراً عدواً لله أو مؤمنا ولياً له ، وسواء أرضى الله برضية هذا المخلوق أم سخط كما تشعر به المقابلة والمقايسة ، وهو قياس قبيح لا يصدر مثله الا عن نفوس صغيرة وافئدة هواء . والاخلاق بعد ان لا يكون رضاء الله غايتها ولا

السعادة الاخروية ايماناً بها . فهي منحطة الى تطلب غرض سافل غير سامية فالنفس لا تعمل الا لغاية . فان عدت تينك الغايتين الخطيرتين فلا بد ان يكون العمل كالاغاثة والمواساة مثلا إما لضعف في القلب وخور في الطبع او تطلب لسان صدق في الناس عن حب مدح وثناء ، اونشر صيت وابعاد شهرة الى غير ذلك من اعمال الرياء ، لان الاخلاق والفضائل هي كما يقول الدكتور ليست بحركات فطرية للنفوس ، وقد اثبت الغزالي ان الاعمال لا تصدر عفواً كصدور النور عن النيرات ، والطيب عن الطيبات ، بل إلا لداع من الدواعي ، إما الشرع أوالغرض النفسي . والدكتور وان ناقضه عند هذا البحث ولكن وافقه عليه في موضع آخر فقال (وما احسب خلق الكرم يتطلب ان يتساوى البذل والامساك ، وفي هذا مغالبة لحكم الطبيعة وانما يحاول الغزالي ان يجعل الفضائل حركات فطرية للنفوس وهو أمل بعيد )

( ومنها قوله ) إن فهم الغزالي للغاية الاخلاقية على هذا النحو جعلته يخطئ في فهم كثير من اسرار الشريعة .

( أقول ) والحق يقال إن الدكتور لما اشرب في قلبه حب الدنيا واطمأن بها حتى أرته الآخرة في جنبها غير شيء ، أو كأنها خيالات صرفة يمثلها المتنبئون للناس . ويصورونها لهم تصوراً وهي لا حقيقة لها فاندفع يهاجم الغزالي ويخطؤه كلما عني بشأنها وجعلها غاية الاخلاق وليس من شأنها عنده ان يهتم بها كل هذا الاهتمام .

( ومنها قوله ) ففريضة الحج مثلا يحسبها الغزالي نوعاً من الرياضة الروحية . فتراه يملأ باب الحج بالادعية والاوراد . وغفل عن قوله تعالى ( ليشهدوا منافع لهم ) اذ تراه يستكثر ان يحج المرء مثلا لينتفع بموسم التجارة .

( أقول ) الحج ركن من أركان الدين ليس باباً من أبواب التجارة والتجار

غير ممنوعين ان يجروا حيث شاؤا ومتى شاؤا والنفوس المجبولة على حب المال ليست بحاجة في انبعاثها اليه لان يفترض عليها الطمع افتراضاً . والامام الغزالي لم يشرع دعاءاً ولا ورداً لمنسك من مناسك الحج ولم يضع شيئاً من لدنه من غير استناد فيه الى آية أوحديث. وان كان من السهل على امثال الدكتور تكذيبها وجعلها مفتريات موضوعة. حين ما تجرح بها آرائهم فيغلبون. ولو تأمل الدكتور قليلا في قوله تعالى ( فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم ) وقوله ( فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم. أوأشد ذكرا ) وقوله ( واذكروا الله في أيام معدودات) وقوله ( ولكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام ) ولو تدبر أعمال الحج من الافاضة والطواف وتضحية البهائم ورمي الحجارة وغير ذلك من أعمال الحج لما تشكك في أنه انما شرع لذكر الله خاصة وانه عبادة صرفة كما لا يتشكك في وجود نفسه . والمراد بالمنافع في قوله ليشهدوا منافع لهم المنافع الاخروية وان كان حضرة الدكتور يضحك ممن يعدها منافع اخروية . ولو تأمل قليلا في قوله تعالى ( وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون ) وقوله ( الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ) وقوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ) وقوله ( والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ) و ( الا بذكر الله تطمئن القلوب ) ما رأى من العبث والاسراف ان يحض الغزالي على الاكثار من ذكر الله في أيام قلائل معدودات يضيع الناس امثالها في لهوهم واستجامهم بالباطل .

ولو كانت العلة في فرض الحج التجارة او التعارف لشرع في محل ادعى لهما من تلك الصحراء الخالية عن كل سبب من اسباب التجارة والاجتماع .

( ومنها قوله ) ونظرة صغيرة الى حرص الشريعة على وحدة المسلمين ترينا

السر في فرض الحج وان التجارة ليست شيئاً بجانب ما يستفيده المسلمون حين يتلاقى حجاجهم وينفض كل منهم أخبار قومه .

( أقول ) نعم حرصت الشريعة كل الحرص على هذه الوحدة التي لم تكن محل النزاع وفيها ورد قوله تعالى ( واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ) وقوله ( ولا تنازعوا فتفشلوا ) وقوله( والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) وحض على منافضة الاخبار ومبادلة الافكار بقوله ( وامرهم شورى بينهم ) وعلى ان نضرب في الارض فتكون لنا قلوب نعقل بها وآذان نسمع بها وأعين نبصر بها نتفقه ولينذر بعضنا بعضاً اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون . وهذا من التشريع كاف فيما يلحداليه الدكتور.مغن عن الافك بحكمةفريضة الحج الى امر المخابرة والمتاجرةوهوركن الاسلام الذي من أجله شرعت التجارات وتشكلت الحكومات وتكونت القوات بل من أجله خلق كل شيء عند من يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤمن بقوله تعالى ( وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون ) فما بال احكامنا معكوسه . وقلوبنا منكوسة . تعلو بالسافل وتسفل بالعالي ، وتجعل الغاية وسيلة والوسيلة غاية . تأمل كلمات الدكتور في نزوله بكل حكمة دينية على حكم امر دنيوي تشعر بأن الدين عنده لم يشرع الا خدمة من الله لهذه الدنيا وهو غرض من أغراضها بل الله سبحانه لم يكن واجب الوجود الا ليخلقها ويبدعها ثم يرسل بها هدية ويقدمها تحفة له ولا مثاله . فتعالى الله عما يصف الجاهلون .

( ومنها قوله والغزالي يرى العمل كله في العبادة المجردة ويرى الجزاء ايضاً عبادة مجردة وكثيراً ما نص الصوفية على لذائذ الجنة انها ليست مادية ولكنها تسبيح وتقديس وتهليل .

( أقول ) الغزالي يرى ان الاعمال كلها تجارتها وزراعتها وصناعتها بل قتالها وسفك دمائها عبادة مجردة مهما أريد بها وجه الله والدار الآخرة . فقد ورد

التاجر ( الصدوق مع النبيين والشهداء والصالحين ) . وورد ( عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة ) وورد ( خير الناس من ينفع الناس ) والدكتور لما لم يقف بعد على المصطلحات الشرعية ظن ان اسم العبادة انما يختص بالركوع والسجود والتسبيح والتقديس واما اسناده على الصوفية انهم يرون الجزآء عبادة وان لذائذ الجنة عندهم ليست بمادية فهو افك مفترى ولكنهم يرون الجزآء خير الجزآء النظر الى جمال الحق وجلاله. ويؤثرونه على لذائذ البطن والفرج التي لهج بها اخوان البهائم ومزاحموا الضعفاء ، من الصبية والنساء . نعم الدكتور يريد لمجتمعه الشوكة والسلطان ومجاراة الاقوياء بهذه الاسباب المادية فلو. فرضها على الأمة من حيث الدين لا تصان ساحته ولا تحاط خطته الا بها ، وما توقف عليه تمام الفرض فهو لا محالة فرض . لكنا نجري معه الى غاية واحدة على طريقة واحدة فلم يخطئ بعضنا بعضاً فتسود التفرقة بذلك بيننا فنكون ماقد افسدنا على الامة اضعاف مااصلحنا والله لايحب الفساد،

( ومنها قوله ) الامل فضيلة إيجابة لانه يحمل صاحبه على العمل في سبيل الحياة والزهد فضيلة سلبية لانه يرضى صاحبه بماقد يكون عليه من سوء الحال ،

( اقول ) يرى الدكتور ان افضل الاخلاق ما كان منها ايجابياً ، وارذلها ما كان منها سلبياً ، فالزنا عنده فضيلة لانه فعل ايجابي ، وتركه رذيلة لانه كف سلبي . والله يذم الامل ويقول ( ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلهيهم الامل فسوف يعلمون ) ويقول ( زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا) والدكتور يجعله خلقاً فاضلا ويسخر من المؤمنين الزاهدين والله يمدح خلة الزهد ويقول ( واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ) وهو يجعله خلة سوء ، فما ظنك برجل يشاقق الله ورسوله كل هذا الشقاق . الزهد فضيلة من حيث انه تنزيه

الضمير عما سوى الله . والامل رذيله من حيث انه مشغل عن الله واي خير في ذلك العمل وتلك الحياة التي يحمل عليها الامل المؤدي الى الكفر وسوء الاعمال. والمؤمن يعتقد ان خيرنا من طال عمره وحسن عمله ، وشرنا من طال عمره وساء عمله، وهذا العمل وهذه الحياة كلما تمادتا تمادت شقوتنا ، هذه الارض الملأى بدماء اهلها قد ارزئت بالجلاد وافعمت بالفساد ، وهذه الاناس تراهم يكفرون بالايمان وعبادة الرحمن ، ومن اجلها خلق العباد . افكان الزهد في الدنيا هو الداعي لهذا ام حب الاموال وطول الامال ، ثم ايهما ترى السبب في هذا الشر المستطير في الارض بل وفي السماء ، حتى يتمنى الناس الموت فراراً منه ونجاة من برحائه وحال الصوفية ليست بحالة سيئة كما يعبر الدكتور فهم يرون فيها من بهجة الذوق بمعرفة الله . وحسن الحال ما لا يراه هو في عبقري أثاثه ورئياه . وقد تحض التقوي على العمل . باحسن مما يكون بالامل. فقد قامت مقامه في الرسول عليه الصلاة والسلام . واصحابه ما كانوا طوال الامل ، بل هم متجهزون دائما متهيؤن للقاء الله ، وهم يفتحون البلاد . ويصلحون اسباب الحياة للعباد . ويعلمون انهم ان هم ماتوا فما الناس جميعاً بميتين . وما هذا النوع البشري بمنقطع ابد الدهر . فهم له يعملون لا لانفسهم ، كصاحب الحرص والامل لا يعمل الا لنفسه ولو هلك الناس كلهم في غرض من اغراضها وحظ من حظوظها ، ان كان الدكتور يستطيع ان يفرض شخصاً يزهد بكل حظوظ نفسه وبالحياة وهو يعمل جهد المستطاع من اجل امته ومجتمع بيئته فليفرضه ذلك الصوفي الذي لاينقم الا عليه.

( ومنها قوله ) ان الغزالي قد عني بدرس الفضائل السلبية كفضيلة الفقر وفضيلة الزهد وفضيلة التوكل وفضيلة الخوف وفضيلة الخمول وفضيلة التواضع وفضيلة الجوع .

( أقول ) اما فضيلة الفقر والزهد على الوجد والغنى فلقوله تعالى ( ان

الانسان ليطغى ان رآه استغنى ) ولقوله تعالى ( انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ) ولقوله ( ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ) وللفقر مع الذل ان كان لازماً من لوازمه كما يقولون خير عند المؤمن من العزة والعظمة والطغيان مع الغنى ، مهما كان مناط الاول سعادة الآخرة ومناط الثاني شقاؤها واما فضيلة التوكل فقد نوه عنها القرآن في غير موضع فلا حاجة الى اثباتها. واما فضيلة الخوف من الله فقد مدح الخائفين به فقال ( ولمن خاف مقام ربه جنتان ) وقال ( انما انت منذر من يخشاها ) . وبالجملة ( فرأس الحكمة مخافة الله ) وأما الخمول والتواضع ففيهما نزل قوله ( وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً ) وقوله ( واخفض جناحك للمؤمنين ) واما الجوع فليس شيئاً غير الصوم وقد جعله الله فرضاً مفروضاً ، وركناً من أركان الاسلام ، ومدح الصائمين والصائمات قرآناً في عدة مواضع ، وقال في مجيعي البطون ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعصب على بطنه الحجر من الجوع ويقول ( ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا عليه بالجوع ) ولا عبرة لانكار الدكتور لمثل هذه الاحاديث الصحيحة عندما يضايق بالمناظرة والغزالي انما جاء يقرر بذلك ماهو ثابت شرعاً لا مرية فيه . والدكتور يؤثر على الزهد الطمع فيما في ايدي الناس ، وعلى التوكل القلق والاضطراب ، وعدم الثقة بوعود الله الا بحبل من الناس ، وثقة بمجرد الاسباب شاء الله ام ابى ، وعلى الخوف من الله الصلف والكبرياء والخشونة والفظاظة على العباد وعلى فضيلة الجوع ان يأكل كثيراً ويثلط كثيراً ، وكل اولئك كان سيئه عند ربك مكروها

( ومنها قوله ) ولم يعن الغزالي بشرح الفضائل الايجابية كالشجاعة والاقدام والحرص وما الى ذلك مما يحمل المرء على حفظ ما يملك والسعي لنيل ما يجد بل

يحب ان يزهد المرء بكل مقومات الحياة ، وخير للمرء ان يوصم برذائل القوة من ان يتحلى بفضائل الضعف .

( أقول ) قد علم المطالعون كتب الغزالي بشرح هذه الفضائل الايجابية وجعل تلك الاخلاق السلبية ذريعة لرد هذه الايجابية الى حد الاعتدال المحمود بين رذيلة الافراط والتفريط ، وبيّن ان الشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، والسخاء بين التبذير والتقتير ، وهكذا حتى لم يغادر خلقاً من الاخلاق ايجابياً كان أو سلبياً الا وقد أوضح فيه البيان السحر ، ولو لا ذلك البيان ما عرف الدكتور وامثاله شيئاً واحداً من معاني تلك الاخلاق وحقائقها الجوهرية ، ولقد تغافل عما يعلم من فضل الغزالي في هذا الباب . فقد قال من قبل ونحن لا يفوتنا ان الغزالى لا يريد من تغيير الخلق الا قهره واسلاسه ، وأيد ذلك بقول الغزالي (وظنت طائفة ان المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان . ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل.ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه وهلك ) الى ان قال،(وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط ) وقال ما مختصره(ان أصول الفضائل فيما يرى الغزالي أربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل . واما خلق الشجاعة فيصدرعنه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والحلم والثبات. واما خلق العفة فيصدر عنه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة ) الى ان أتى على جميع الاخلاق بياناً هكذا ذكر في صحيفة ( ١٦٧ و ١٨٣ من كتابه المذكور. وليس للقوة التي يعنيها رذيلة سوى الكفر والالحاد ، وسفك دماء العباد ، وغير عجيب ان يعد الدكتور ذلك فضيلة فوق فضيلة الزهد والتوكل ويجعلهما من اسباب الضعف والوهن ، وان يكونا

وصف الرسول واصحابه ، وبهما استفتحوا وخاب كل جبار عنيد . لانه يفسر التوكل بالاستسئال والاستقتال بين يدي العدو . والزهد بافراغ ما في جيبك في جيبه ليقوى على التمثيل بك والاجهاز عليك .

(ومنها قوله ) والغزالي يعني في الاغلب بالاخلاق الفردية . حتى لتحسبه يكتب مؤلفاته لافراد يعيشون في عزلة وانفراد . فلو أردت ان تدخل في عالم السكون لوجدت في آداب الغزالي من آداب الوحدة والعزلة ما ينفعك ويرضيك. ولكنك لو أردت ان تدخل في عالم السياسة لما وجدت لديه فكرة واحدة يمكن ان تكون نبراساً يهتدي به الساسة من الوزراء والسفراء .

( أقول ) قد جاءت الشريعة ولا قصد لها سوى تكوين عالم السكون وتسكين حركات الهرج والمرج . وابداله بعبادة الله سبحانه . والاقتصار على ضرورة الحياة . ولكن لما قدر ان لا يزال الناس مختلفين مست الحاجة الى السياسة التي تعود في جوهرها اليوم الى الكذب والتمويه . واستعمال المخادعة والمخاتلة . وما على الغزالي لو اعترف بالعجز عن مثل هذه السياسة بل بالتبرأ من شرارتها ليكل امرها الى امثال الدكتور ممن اهله الله لها . وهي وان كان حقاً وجودها لا بد منه تتطلبه حكمة الله لمثل عالمنا . ولكن اهلها في النار. فقد ورد عنه عليه السلام ( العرافة حق لا بد منه وكل عريف في النار ) فسبحان من يسر كلا لما خلق له . تخصص الغزالي بتقرير كل ما جاء الرسول به ولم يغفل شيئاً من ذلك . فان لم يجد حضرة الدكتور حتى لدى الرسول فكرة ممتعة في السياسة فلا تثريب اذاً على الغزالي ان لا يأتي بما لم يأت به رسل الله . على انك لو قرأت ما نقله الدكتور نفسه عن الغزالي في الاخلاق وواجب الملوك والوزراء والكتاب والتجار وكل صنف من الاصناف . ثم عطفت النظر الى ما ذكره في الاحياء حين بحث عن مدنية البشر بالطبع وانه لا يعيش منفرداً

الا بالتشارك والتعاون والتعاضد والتبادل . وما جر اليه ذلك من تشكيل الحكومات حتى آخر دائرة من دوائرها لعجبت كل العجب من تغافل حضرة الدكتور عن فضله العظيم في هذا الباب .

يسأل الدكتور الغزالي عن كل شيء وكأن الله لم يخلق في هذا العالم الزاخر بالرجال رجلا عاقلاً يسأل عن واجب من واجبات هذا المجتمع غير الغزالي فتراه يلومه على انه لم يضع في السياسة شيئاً وهو صوفي ، ولا يلوم حاشية الملوك ووزراءهم وأمراءهم على ان لم يؤثروا شيئاً في ذلك وهم المسؤولون .

(ومنها قوله) اظن اننا هدمنا هذا الحكم من اساسه بما اسلفنا من نقد احوال الصوفية فان ما استحسن الغزالي من احوالهم لا يمكن ان يكون مقتبساً من نور مشكاة النبوة . وهل كانت النبوة يا هذا وساوس واضاليل . والشرع وحده فصل الخطاب .

( أقول ) رويدك بعض هذا ما الذي بيدك معولا تتهشم به كوخ الفقراء فتهدمه عليهم وما هي والله الا قلامة ظفر تحاول بها نقض صرح ممرد من قوارير وما كان قولك هذا عند غير أعوانك الا كصرير باب او طنين ذباب خلف الآذان . ولو قويت على الهدم ما كنت هادماً غير دين الاسلام . اذ لست باقوالك هذه تعيب سوى القرآن . تذم ما يمدح وتمدح ما يذم . تذم التوكل والتواضع والقناعة وهذا هو القرآن مملوء بالمدح والثناء عليها وتمدح الكبر والعجب والطمع ولن تستطيع ان ترى آية واحدة في الحث على جمع المال وعد الطمع خلة حميدة والكبرياء على الناس في الناس فضيلة كما علمت مما سبق . وليس من بأس على الصوفية ان تسمى وارداتهم والهاماتهم وما فهموه عن الشارع وساوس واضاليل . فلهم برسول الله اسوة ولك بمنتقديه احتذاء . فهم اذ لم يهتدوا به فسيقولون افك قديم ويقولون أساطير الاولين وما تنزلت به الا الشياطين .

( ومنها ) اخذه على الغزالي ان يقول والعالم القانع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة ان كانوا معه . الا اذا أراد ان لا يأخذ من أيدي الناس . يقول ولو ان الغزالي دعى الحكومات الى الاخذ بيد العلماء واغناهم عن السعي الى الرزق فتنحصر جهودهم في نشر العلم لكان له قسط من الصواب اما زعمه ان الاولى للعالم ان يكتفي بما يعطيه الناس . فهو رأي يهوي بصاحبه الى الحضيض ولا يتناسب مع مكانة العلم .

( اقول ) اعد النظر في قول الغزالي ( والعالم القانع يأتيه رزقه ) . هل تجد فيه ما يدل على اباحة السؤال للعالم . او ما يحضه عليه . على ان الدكتور نفسه روى ان الغزالي يقول في محل آخر ان السؤال حرام بالاصل وانما يباح للضرورة أو لحاجة قريبة من الضرورة لان في السؤال اظهاراً للشكوى من الله باظهار الفقر . وان توهم الدكتور ان قول الغزالي هنا يناقض قوله هناك . ومن تأمل فيما وقع للقانعين المتبتلين الى العلم من أئمة الفقه كأبي حنيفة والامام الشافعي وابي يوسف والامام مالك . وكذلك أئمة الطريق كالجيلي والبدوي والرفاعي وكيف اتتهم الدنيا راغمة والرزق لهم ولاتباعهم مكرهاً مقسوراً على غير مذلة تهوي بهم من مكانتهم الى الحضيض. ومن تحقق كيف تقدم الناس لهم الاموال على طريق الهداية للملوك لا على صورة الاستعلاء بالتصدق وهم يرون اكبرهم حظاً من يقلدونه منة قبول عطيته . علم ان الغزالي لا ينطق الا بالحق والواقع فاذاً الدكتور يعارضه بالمقدر الموهوم . اين تلك المذلة وذلك الهوي الذي نزل بهم عن صروح المجد وبروج الشرف التي يشتغل بهدمها امثال الدكتور منذ عهد طويل وهي تأبى كأنها الاهرام تضن على المعول بالذرة والهبوة . وما أدراك بحجة الاسلام انه كان لا يستطيب للعلماء أموال

السلاطين ولا يرتضى لهم ان يتدافعوا في أبوابهم وعلى اعتابهم . فضلا عن دعوة الحكومات الى ان يحسنوا اليهم بورقهم .

( ومنها قوله ) ولو أننا رجعنا الى ما وضعه الغزالي من آداب المسافر لعلمنا انه احتاط هناك فحث المسافر على ان يأخذ حاجته من الزاد ثم أوصاه بأن يأخذ قدراً يوسع به على رفقائه فكيف يصبح المسافر بزاده في البادية من العوام . ومن عسى ان يكونوا هؤلاء العوام المأدبون .

( أقول ) انما احتاط الغزالي هناك لاولئك العامة المؤدبين وهم عند الصوفية كالزمخشري والفخر الرازي وابن مسكويه وابن الرشد وكل من لم يبلغ به ايمانه يقيناً مثل يقين ابراهيم عليه السلام يجعل النار برداً وسلاماً . ويقين العذراء يأتي برزقها حيث تشاء . فهو يرزق كما يرزق الطير ولو اقسم على الله لابره . ولو استطعمه لاطعمه . ولو سأل ان تنزل عليه مائدة من السماء لنزلت . فان انكر الدكتور ان يكون مثل هذا فقد انكر من قبله كرامة الاولياء ومعجزة الانبياء كثير .

( ومنها قوله ) وقد توقع الغزالي ان يسئل عن حمل رسول الله واصحابه الزاد فأجاب بأن ذلك مباح غير حرام . ثم توقع ان يسئل هل ترك الزاد اولى ام أخذه لمن قوي يقينه فأجاب في المنهاج بأن الترك افضل . وانا لا اعلم لهذا الفضل اساساً غير التنسك الذي ينكره العقل ويأباه الدين .

( أقول ) نعم هو لا يعلم لهذا الفضل اساساً وانما يعلم هذا الفضل ذووه . وكيف لا تكون الثقة بالله والاعتماد عليه افضل من التعويل على الاسباب وقصر النظر عليها . ولا يكمل ايمان امرء لا يكون بما عنده الله اوثق منه بما عنده . واما اختيار الرسول فعل المباح المفضول فلانه مشرع . والتشريع لا يكون في النهايات والغايات التي لا يستطيعها الا الآحاد . ولو ترك حمل الزاد لاقتدى به

كثير من ضعفاء اليقين والعزيمة فهلكو واهلكوا . والا فقد خرج عليه السلام من مكة بلا زاد ولا عدة . اذا اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار وهو يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانظر كيف كان واثقاً بأن الله معه فلم يبال بعد ذلك بكل شيء .

( ومنها قوله ) لم يفت الغزالي ان يذكر ان هذه المجازفة في التوكل قد تكون القاء بالايدي الى التهلكة. فأجاب باشتراط رياضة النفس حتى تحمل الجوع اسبوعاً . وان يكون المتوكل بحيث يقوي على التقوت بالحشيش . وأحب ان يذكر القارئ هذه الصورة الغريبة فان الغزالي يدعو اليها جمهور المسلمين .

( أقول ) قد افترى الدكتور على حجة الاسلام بأنه يدعو الى هذا جمهور المسلمين. فانك قد علمت قبلا من نفس ما نقله الدكتور عنه من انه كان يحث المسافر على حمل الزاد ويوصيه بأن يأخذ قدراً يوسع به على رفقائه وانما تكلم هنا خاصة فيما يجب على خاصة المتوكلين . ولو كان يدعو الكل الى هذه الفضيلة وهو يعلم انه لا يجيبه اليها غير قليل كما دعى الله سبحانه الناس كلهم الى الزهد في الدنيا بقوله ( لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل)وقوله ( ورحمة ربك خير مما يجمعون ) . وقال ( انما اموالكم واولادكم فتنة ) وهو عز شأنه يعلم انه لا يجيبه الا من خلقه لمحل قربه واصطفاه لنفسه. ولو اجابه الكل لفسدت حكمة عمران هذا الكون وليست بفاسدة . على أن تحمل الجوع اسبوعاً وامكان التقوت بالحشيش نوع من الزاد فهو كاف احتياطاً عند خوف فوات الزاد وعدم مصادفة رزق يطعم .

( ومنها ) انه يرى التباين بين قول الغزالي ( ان التباعد عن الاسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى ) وبين قوله ( ولكن لو اغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه ففعله ذلك حرام ) وان فتح باب البيت

وهو غير مشغول بعبادة ربه فالكسب والخروج اولى له ولكن ليس فعله حراماً الا ان يشرف على الموت فعند ذلك يلزمه الخروج والسوأل والكسب .

( اقول ) نظرة حولاء ارته الواحد اثنين والا فلينظر المنصف في هذين القولين هل يجد بينهما من تفاوت ام كلاهما متظاهران على تحريم ترك الاسباب والاعراض عنها بالكلية .

( ومنها قوله ) وأحب أيضاً ان يذكر القارئ هذا التناقض بالجمع بين التوكل والسؤال وكيف تقوم لامة قائمة وهي تربى على هذه الاخلاق .

( أقول ) والجواب عن هذا ما رواه الدكتور عن الغزالي ونصه ( انه لا يرى الغزالي الكسب منافياً للتوكل في كل حال فمن الخطأ فيما يرى ان يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة وكاللحم على وضم . وهذا ظن الجهال وذلك حرام في الشرع ) واذاً فلا تناقض عند الغزالي بالجمع بين التوكل والسوأل الذي هو ضرب من ضروب الاكتساب وجملة الاسباب . وقد نبهنا غير مرة على ان الغزالي لا يدعو لهذه الرياضة جنود الثغور وارباب التجارات واهل الحرف والصناعات وظن غير هذا جنون وانما هو يدعو الذين فطروا على حب الحكمة والرياضة واولئك قليل وهل قامت لامة قائمة الا بحكمة هؤلاء المرتاضين . وهل هذا الرقي الذي نراه في التجارة والزراعة والصناعة وسائر الاشياء الا حسنة من حسنات ارباب تلك الرياضة . وهل كان الحكماء المصلحون كسقراط وبقراط ممن استعبدتهم شهوات بطونهم وفروجهم ام كانوا ممن اعرضوا عن الشهوات فاستغلوا فكرتهم في الرياضة والخلوات . وهل قامت للرسول واصحابه تلك القائمة الا بزهدهم في أموالهم وانفسهم ابتغاء مرضات الله .

( ومنها قوله ( ولو ذكر الغزالي ان اليد العليا خير من اليد السفلى وان

الله اكرم بني آدم وحملهم في البر والبحر ورزقهم من الطيبات لما اختار لامرء هذا الحظ الخسيس .

( أقول ) وما عسى ان تكون خيرة تأتي بها اللقمة وتذهب بها الجرعة في جنب ما يحصل للمتبلغ بها حتى ينال حظاً من الولاية لا ينال فضله المتصدقون بملأ الارض ذهباً . وهذا الرسول كان يستعطي ويستطعم أفكان لتلك الايدي المحسنة الفضل على ايادي نبوته ام لتلك عين لايحس بها في جنب هذه . اما الطيبات من الرزق فحظ العامة وضعفاء العزيمة ومن لا يتصور لذة في هذه الدار فوق لذة تلك الطيبات . ولم يلق بالاً لقوله تعالى ( ورزق ربك خير وأبقى ) وقوله (ورحمة ربك خير مما يجمعون) وقوله( قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ) . وأخس الحظوظ عندي حظ من أوتي نصيباً في هذه وما له في الآخرة من نصيب . وليس حظ قارون بماله أبعد عن الخسة من حظ موسى بتقواه . والله كرم بني آدم وحملهم فيما حملهم فيه ، ولكن المهين عنده من هان بالمعصية والكريم من تكرم بالتقوى . وان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ويقول الذين لا يؤمنون بالآخرة بل اغناكم ذلك بأنهم قوم لا يعقلون .

( ومنها ) انكاره على الغزالي ان يخرج المستقصين في الاسباب الموهومة الفائدة عن درجات التوكل .

(أقول) كان على الغزالي ان لايكتفي بإخراج مثل هذا المستقصى عن درجات التوكل فقط بل كان الواجب عليه ان يأمر بأرساله الى المارستان ليوثق بين المجانين وان كان هذا التوهم لا يخرجه عن درجات التوكل فيما يرى الدكتور . ولا يخرج عنده الا ان يكون طوراً ينكر مسبب الاسباب وما ثم وراء من يسعى خلف الموهوم كاسب فيتصور في الناس غير متوكل على الله .

( ومنها قوله ) واذا كان الاحتيال لكسب المباح مما ينافي التوكل فقد انهدم

اعظم ركن في بناء الممالك والشعوب والغزالي يردد النفرة من الحيلة لكسب الرزق.

( اقول ) اذا كان صرف الحيلة بكل جهد في الموهوم من الفائدة لايخرج المرء عن درجات التوكل فعلى حضرة الدكتور ان يبين لنا من يكون غير المتوكل بعد هذا الانسان . وهل كانت الممالك والشعوب مبنية على قواعد التوكل حتى تنهدم اركانها بمثل هذا القول . تشاد اركان الشعوب بسيادة العدل وسداد الرأي ونقاء الصدور من درن الاحقاد وتبادل الحب والوداد والتعاون على البر والتقوى . لا بمخادعة افراد تلك الشعوب بعضهم بعضاً بضرب الحيل وانواع الوسائل ليجعل رأس مال اخيه ربحاً لماله . نحن في عهد لم نخش على انسانه أن يترك خسيساً من الحظوظ حذر المروق من دينه بالكلية . وحضرة الدكتور يخشى عليهم أن يرفضوا الدنيا بحذافيرها مخافة ان يخرجهم الغزالي من عداد المتوكلين .

( ومنها قوله ) ونرى الحاجة ماسة الى ان ننبه الى ان فهم الغزالي التوكل بهذه الصورة خطأ صراح وليس علينا من حرج اذا رأينا الغزالى من الخاطئين . وما نريد ان نزيد .

( اقول ) لا ريب في ان الشريعة قد دعتنا الى خلق التوكل وأن القرآن لم يزل يردد الثناء على المتوكلين وان الناس ينقسمون الى متوكل وغير متوكل . فهل يستطيع الدكتور ان يعرف لنا من هو غير المتوكل بعد ان لايرى شيئاً من دخول السوق قبل كل احد والخروج منه بعد كل احد مخرجاً للمرء من زمرة المتوكلين ولو بذل الجهد والاستقصاء في وجوه الحيل والتعلق بالاسباب حتى موهوم الفائدة منها . ولسنا نرى هؤلاء المتكالبين المستقصين باغنى واقنى من اولئك القاصدين المجملين .

( ومنها قوله ) ان الغزالي يحمل الناس على الرضى بالموت والاقناع بانه من

جملة الارزاق ويمرنهم على الاعتداد به جوعاً في سبيل الآخرة .

( اقول ) انها لفرية على حجة الاسلام محرفة عن وصية اوصى بها المتوكل ان قدرله ان يشرف على الموت جوعاً فدعوى التوكل تقضى عليه ان لايضطرب وينقض حبل توكله بـ ( لِمَ وكيف )وان لايسخط على قضآء الله وقدره عليه . وان يشعر قلبه ان الاجل محتوم على يد سبب معين كالرزق المحتوم وأنه ليس لنفس ان تموت الاباذن كتاباً مؤجلا . وان الله لم يرد ان يميته لكونه عجز من سوق رزق اليه يبقى عليه حياته ولو طيراً يشتويه وانما هو الاجل المحتوم وهذا عقد يجب ان ينطوي عليه كل ضمير ينطق بالشهادتين ليس المتوكل فقط . وهل يفهم من هذه الوصية الترغيب بالموت والترحيب به لا .

( ومنها قوله ) وعجيب والله ان يكون الكسب ادنى درجاب المتوكلين .

( اقول ) والعجيب والله اجتماع دعوى النبوغ بغفلات مضحكة واتفاقها في ذات واحدة فانه لايرتاب اي جاهل ان للتوكل وسطاً وطرفين ادنى واعلى . فان لم يكن هذا الكاسب الذي يطير قلبه نحو كل ما تخيل الفائدة فيه من الاسباب الموهومة في ادنى درجاب المتوكلين . فمن ذا الذي يكون من بعده .

( ومنها قوله ( ورأى الغزالي في الادخار عجيب اذ افضل الحالات عنده لمن حصل على مال بارث اوكسب او اى سبب من الاسباب ان يأخذ قدر حاجته في الوقت ويفرق الباقي في الحال .

( اقول ) واعجب من هذا على رأي الدكتور ثناؤه تعالى على من هكذا شانه بقوله سبحانه ( الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية ) وقوله ( ويؤثرون على انفسهم ولوكان بهم خصاصة ) أوخير للمجتمع ان يحتكر المال وحده فلا يقوم بواجب انمائه واستغلاله ام خير له ان يوزع على عدد من العاملين البائسين . فيصبح كل منهم غنياً ينصره . بعد ان كان فقيراً يخذله .

أو ملوم من يتزكى مؤثراً على نفسه كثيراً من ابناء جنسه . ام اصبحت الفضيلة رذيلة . والرذيلة فضيلة . وان من اعطى واتقى وصدق بالحسنى شر ممن بخل واستغنى وكذب بالحسنى فيسر للعسرى .

( ومنها قوله ) ونحب ان يتأمل القارئ هذا الرأي في الاقتصاد فقد اكثر المؤرخون من لوم العرب على اهمال هذا العلم . وعدوا الجهل به سبباً لسقوط المملكة مع انها كانت تستطير على اخصب بلاد العالم . ولكن كيف يحترم هذا العلم في امة يقول امام الائمة فيها ادخار المال اربعين يوماً يحرم المرء من المقام المحمود.

( أقول ) شأن العرب عجيب كيف لم تهمل امراؤهم علم الاغتيال والاختلاس . وحكامهم فن اقتناص السحت واختلاب الرشا . وتجارهم صنعة الغبن والتغرير . وصناعهم ريبة الغش والتمويه . وشعوبهم علم البيات وشن الغارات . وسفك الدماء وكان كل واحد منهم استاذاً يعلم الناس كيف تحسى الخمرة وتفعل الفجرة . لم يحجزهم حاجز الوعد والوعيد عن كل هذا . ثم هم يهملون علم الاقتصاد ويجهلونه . عن قول الغزالي لكيلا يفوتهم المقام المحمود . يزعم الدكتور ان هؤلاء العرب الذين تفرقوا وكانوا شيعاً يستضعف بعضهم بعضاً ويقتل بعضهم بعضا كلهم درسوا فلسفة الغزالي في تطلب المقام المحمود . فرأو أن يغزو قويهم ضعيفهم . وعزيزهم ذليلهم. فيغلبه على نفسه وماله وزوجه وولده ادنى الى الحصول في المقام المحمود . من علم الاقتصاد الذي أباحه الشرع وأعطاه الدليل . العرب لم يشعروا بوجود الغزالي الا قليل منهم والذي درس كتبه من ذلك القليل قليل والاقل منه بل الذي لا نعلم له وجوداً ان كان من تابع الغزالي على رأيه هذا . فكيف يعلل بسقوط ممالك العرب بما علل . وهو غير موفق بالتعليل . تلك الدعوة الى الزهد قد ماتت منذ اجيال فكانت اليوم نسياً منسيا . فلم يتجشم الدكتور اعادة ذكراها جذعة . ثم يشغل نفسه بتزييفها والرد عليها فلو لم

يكن قصده ايهام فضله على الغزالي بنقده . وكان بكاؤه هذا على موت العرب حقيقة لعدل عن هذا العبث بمشاغبة الاموات الي دعوة العرب عما هو السبب الاصلي في سقوطهم من التفرق والتصدي والانقسام على انفسهم واخذهم بأن يأتي بعضهم على بعض .

لعلم الاقتصاد ياحضرة الدكتور اهل كما للتصوف اهل والغزالي لم يقصر في دعوة اهل الاقتصاد اليه فهو يقول عن قوله عليه السلام ( التاجر الصدوق مع النبيين والشهداء والصالحين )( والتاجر الجسور مرزوق والجالب الينا كالمتصدق علينا ) ( والمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف ) ولكل أناس مشربهم. ولكل شيء قدر .

( ومنها ) سخريته بالغزالي ان يقول ينبغي للمرء ان ينوي عند خروجه من البيت الرضي بما يقضي الله فيه من تسليط السارق واذا وجد المال مسروقاً فينبغي ان لا يحزن وان لا يدعو على السارق وان يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله . وانه ليس من التوكل بالطبع ان يتعقب المرء الجناة لينالوا على يد الوالي جزاء ما قدمت ايديهم وان يجعل الرجل ما سرق ذخيرة له في الآخرة .

( أقول ) وما على المرء لو تخلق بالاخلاق المحمديه فلا يسخط يوماً على قضاء الله وقدره فيه . ولا يحزن على مافاته كما لا يفرح بما آتاه . وان يكون بالمؤمنين رؤوفاً رحيما . يغتم لمن يجترىء منهم على غضب الله وعذابه . وان يحتسب المصيبة ويدخر ثوابها عند الله . وأن لا يؤاخذ جانياً جنى عليه لهفوة لا يسلم من امثالها البشر الا من عصم الله والشرع دعى الناس للعفو عن القاتل وان لا يشهد على السارق بأنه سرق ابقاء عليه وقد شرعت الحدود للردع والزجر لا قسوة على الجاني ومقتاً له بما قدر عليه . وهو القائل عز شأنه (فمن عفي له من اخيه شيء) فهو يستعطف المؤمن على المؤمن بذكر الاخوة وتلك مكارم الاخلاق بعينها . وان

كانت مستهجنة يسخر منها غلاظ الطباع . خشن العواطف قساة القلوب .

( ومنها قوله ) لا نرى بأساً من تحقيق مسئلة اخطأ بها الغزالي فعنده ترك الموهوم من اسباب الخوف هو شرط التوكل . وقد عد من الاسباب الموهومة الكي وذكر ان رسول الله لم يصف المتوكلين الا بترك الكي والرقية والطيرة ولو صح رأيه فيما استشهد به لكان للرقية والطيرة فائدة موهومة. مع انه يستحيل ان يرى رسول الله قيمة لهذه الاسباب ولو كان للكي فائدة موهومة لما عد تركه من التوكل .

( أقول ) لا شك ان الخوف من المحذور الموهوم يشف عن خور في الطبع وجبن في الروح وهو من الاخلاق الذميمة في السافلين ، فضلا عن صفات المتوكلين . وليس قصد الغزالي ان يترك المرء الحزم والاحتياط والحذر فيما يأتي ويذر . كيف وهو يسمع قوله عليه السلام ( المؤمن حذر فطن والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ) وقوله ( سوء الظن من الحزم وحصنوا اموالكم بسوء الظن ) بل الله سبحانه يقول (وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ودوا لو تغفلون عن اسلحتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ) وانما اراد انه ينبغي لمن عزم على فعل خير ان لا يرده فيه خوف موهوم بعد ان يفرغ الجهد في استكمال اسباب السلامة عادة) ويفتح الجبن عليه ابواب ( لعل وربما وعسى ) فيفزع من كل لفتة ناظر وفلتة خاطر . كمن يريد ان يركب البحر للتجارة ثم يرده ان يتوقع من البحر هيجان لم يسبق او قاصف من الريح لم يعهد او غير ذلك مما يتوهم فالغزالي يشجع بهذا على المضي في الاعمال . والدكتور يفهم منه الاغراء بالتسيب والاهمال . واعلم ان الموهوم اعم مما يكون جائز الوقوع على بعد . ومن المختلق الصرف تختلقه القوة الواهمة لا وجود له اصلا . وهذا شيء معلوم عند أرباب المعقول والغزالي يريد من الطيرة والرقية الموهوم بالمعنى الثاني فلا يفيد ان للطيرة

فائدة موهومة بالمعنى الاول . فأخطأ لعدم المامه بمثل هذه العلوم . ثم ما على الغزالي لو أراد من قوله هذا ما فهم منه حضرة الدكتور بعينه حين يخص به قوماً معدودين اصطنعهم الله لنفسه . غير بناء الممالك وساسة الشعوب . فان موسى عليه السلام لما عزم على المسير بقومه توكل على الله وأم البحر غير مفكر في مذهب ومسرب حتى جعل الله له طريقاً في البحر يبساً . فلم يخف دركاً ولم يخش . أفكان من العار على الغزالي ان يعتقد معجزات الانبياء وكرامة الاولياء .

( ومنها قوله ) فإذا اختلفت الظروف وكانت رعاية الاسباب الموهومة نوعاً من الحيطة فإني لا أفهم كيف تحرم المرء من المقام المحمود .

( أقول ) تكلم الدكتور ههنا كلاماً لامعنى له اصلا لان الموهوم ابداً موهوم لا تأثير للظروف فيه فان أراد ان الناس جبنت او طمعت فصار اعتبار الموهوم عادة فهو مراد سخيف . وان اراد ان بعض ما كان يعهد في العصور السابقة موهوماً او نادر الوقوع وقد اصبح على عهدنا محققاً أو كثير الوقوع فهذا الموهوم قد خرج من قسم الموهومات ودخل فيما يجب الاخذ بالاحتياط فيه فليس هو موضوع البحث . وكأنما يرى الدكتور ان المقام المحمود قصر من القصور او برج من البروج المشيدة على ضفة النيل يريده لكل وضيع ورفيع . وان لا يحرم منه حتى السوقة والغوغاء وهو مقام قيل انه واحد في الكون لواحد في الناس وعساه ان يكون نبينا عليه الصلاة والسلام لذلك امرنا ان ندعوا له به فنقول وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدته .

( ومنها قوله ) والى القارئ الاحوال التي يحمد المرء فيها عنده . ترك التداوي إن يكن المريض من المكاشفين ، وقد كوشف بأن اجله انتهى ، وان تكون العلة مزمنة والداء موهوم النفع . وان يكون المريض مشغولا بحاله وتخوف عاقبته ، وان يقصد بترك التداوي استبقاء المرض لينال اجر الصابرين ، او ليمرن

نفسه على الصبر الجميل ، وان يكون كثير الذنوب ويرى المرض تكفيرا . وقد عجز عن التكفير . وان يستشعر في نفسه مبادي البطر . والطغيان بطول مدة الصحة.

( أقول ) ها هو ذا يعرض على القارئ آراء الغزالي عرضاً كأنما هي عورة شاني ء يظهرها على الناس شانؤه وكلها الحق الواقع اما الحالة الاولى فهي كرامة الاولياء لا مجال لانكارها ، وان كان لا يكبر على الدكتور انكارها بعد ان ينكر صبر عيسى عليه السلام عن الطعام أربعين او ستين يوماً. والمرضى المنهوكة القوى تصبر عنه اكثر من ذلك . واما الحالة الثانية فدليلها ان الناس حتى الصبيان لتسخر من العمي زماناً ان يتداووا بناعم السكر المصري كما يفعله البله المغفلون . واما الحالة الثالثة فقد تكون من ابناء الدنيا مع ملوكهم يقدم احدهم عليه لا يدري ما هو صانع به فيشغله الرعب عن كل ما به وما لديه . والله احق ان يحذره ويخشاه . واما الحالة الرابعة فصحيحة عند من يسمع قوله تعالى ( ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين ) . ثم يجد من نفسه القلق الشديد وعدم الصبر حين يصاب بنفسه أو ماله . ولا عيب عليه ان يفعل بنفسه ما يشاء من ترك التداوي ليمرنها على احتمال الشدائد فيفوز بالثواب على الصبر الجميل وما ادخر للصابرين من قرة اعين . وربما فعل الشخص بنفسه مثل هذا التمرين لينال حظاً من الدنيا ولا يرى الدكتور من بأس عليه ان يفعل. واما الحالة الخامسة فليست بمنكرة الا عند من لا يكترث باقتراف الذنوب غير مصدق بأن الحسنات يذهبن السيئات وان للمذنبين عذاب مهين . واما الحالة السادسة فواقعة فانك تجد البغي مثلا يمسها المرض فيورثها توبة وأنابة فتعاهد الله لان شافاها لتستمرن على توبتها وانابتها. فلما يشفيها فاذا هي عائدة الى ما كانت عليه من قبل. أفخير لمثل هذه الصبر على الامراض ام قيامها على البغي مدة حياتها .

( ومنها قوله ) فمن الواضح ان ايثار المرض في سبيل الفرار من آفات العافية انما هو عمل سلبي قليل الغناء وما يضرنا لو حاربنا المرض ثم رجعنا بعد ذلك الى حرب ما للصحة من الآفات لنخرج رجالا صحاح الجوارح والقلوب .

( أقول انني لم استطع ان اتصور معنى السلب في الفرار من المرض وكيف يكون العمل السلبي قليل الغناء وكل الغناء في اجتناب الشرور . وهو امر سلبي بل الخير كل الخير في العافية وهي سلب ما يعرض للبدن من الامراض والاعراض. وما أدرى من اين يأتي الدكتور بكثير من استعمالاته واصطلاحاته التي لا تنطبق على لغة من اللغات . ويا حبذا لو تمت دعواه فامكنه حرب المرض ثم بعد ذلك حرب الصحة ولو امكن ذلك عادة ما ابتلانا سبحانه ليمحص ما في قلوبنا بنقص من الاموال والانفس والثمرات . ولان جعل الدكتور هذا من وساوس الصوفية فلنأتينه بأحاديث من قوله عليه السلام ( المؤمن كخامة الزرع تقلبها الرياح والكافر كالارزة يقصم قصما ) وقوله ( اذا احب الله عبداً ابتلاه ) وقوله ( المؤمن مبتلى ) ولان ادعى وضع هذه الاحاديث فلنأتينه بكل آية من قوله عز وجل ( ليبلو المؤمنين منه بلاء حسناً ) وقوله تعالى ( وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ) . وهو غير مستطيع ان ينكر القرآن خوفاً من الله او خوفاً من الناس . واذاً فنحن الغالبون . ويعزز حجتنا الواقع وقوله تعالى ( ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ) .

( ومنها قوله ) وما احسب الغزالي ليستطيع ان يثبت ان آية وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين خاصة بصنف يقتصر على متاع كقصعة وكوز واناء وما اشبه ذلك من الضروريات بل التوكل المأمور به في القرآن هو الاعتماد على الله مع مباشرة الاسباب .

( اقول ) صرح الغزالي بأن مباشرة الاسباب غير منافية للتوكل وقد نقل ذلك

عنه نفس خصمه هذا الالد . واما الاقتصار على القصعة والكوز والاناء وما اشبه فهو وصف خاص بقوم فنوافي الله . وليس بعار عليهم ان يفنوا فيه . وفي الناس اضعافهم مستهترون قسم بالخمار ، وقسم باللهو والقمار ، وآخر بالجمال ، ومثله بالمحال . ولا نرى من بأس على المجتمع بفقدهم ولا من لوم على ما يفعلون . أفكثير على الله إن تفنى شرزمة من كل مخلوقاته فيه . ثم ان احتكار مايزيد على ضرورة العابد سببه إما المكاثرة والمكابرة ، واما خشية الفقر والفاقه وكلا الامرين غير لائق بالكمل الزاهدين والمتوكلين . ففي الاول تحسير الاخوان وقهر الجيران ، وفي الثاني عدم الوثوق بوعد الرحمن .

( ومنها قوله ) يقول الغزالي ان الرزق الذي هو الغذاء ، والقوام لا يمكننا طلبه اذ هو شيء من فعل الله سبحانه للعبد كالموت والحياة لايقدر العبد على تحصيله وانه لا يلزمنا طلب اسباب هذا الرزق المضمون بغير شرط الطلب والكسب وكيف يصح ان يؤمر العبد بطلب مالا يعرف مكانه فيطلبه فلايصح التكليف بطلبه فتأمل) وقد تأملنا كثيراً فلم نر هذه الحجج الاخيالا في خيال .

( اقول ) ليته فهم اذ تأمل كثيراً ان الرزق المضمون عبارة عن الغذآء الخاصي الذي به يبلغ جسد الانسان الحد المقدر له فان الطفل مثلا يولد صغير الجسم ضئيل الاعضاء وتمام بدنه بين اسباب الغذآء الذي سبق القضاء بان يكون تمام بدنه اوبدل ما يتحلل بالحركة من اجزاء بدنه و التكليف بطلب هذا الغذآء الخاص تكليف بمالا يطاق . افيعلم الانسان اجزاء بدنه المبثوثة بالكون قبل لصوقها به من طريق الغذآء ويعلم مكانها اين هي فيطلبها . ويرشدك الى هذا المعنى قوله فلا يصح التكليف بطلبه فلوكان مراده مطلق الرزق لما استقام مع تحريمه ترك الاسباب بالكلية حتى يشرف على الموت . كما لا يستقيم مع امره تعالى لنا بطلب

الرزق يقول( وابتغوا عند الله الرزق) ويقول (فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ) الى غير ذلك من الآيات في هذا الباب .

( ومنها قوله ) اراد الغزالي ان يحض على التوكل فأمر بملاحظة الجنين كيف وصلت سرته بسرة امه لينتهي اليه الغزاء لما كان عاجزاً عن الحركة والاضطراب. فلما انفصل سلط الله على امه الحب لترضعه وهي راغمة وهذه الحجة على الغزالي فانه اذا كان الله يفعل للطفل كل ذلك لعجزه عن السعى فلماذا منحه القوة اذن اذ كان لم يشأ ان يستغنى بها عن الناس .

( اقول ) لم يفرق حضرة الدكتور ماله مما عليه فان قضية الجنين جيء بها دليلا على ان الله سبحانه قدير يرزق العبد من حيث لايحتسب ولايكتسب . وليس الغزالي في صدد انكار الاسباب والقول بانها خلقت عبثاً . وقدعلمت رأي الغزالي في ان الاكتساب لا ينا في التوكل . وان المعرض عنه بالكلية آثم . غير انه يحض المتوكلين بمثل مسئلة الجنين ليجملوا في الطلب ولايضطربوا حين تتقطع بهم الاسباب. وتغلق دونهم الابواب . والله يرزق من يشآء بغير حساب .

( ومنها قوله ) واما ما قاله الغزالي من ان كل واحد من اهل البلد اذا احس بمحتاج تألم قلبه ورق عليه ) فهي امنية شعرية وليته ذكر ان العرب هموا بترك دينهم ليخلصوا من الزكاة .

( اقول ) ومن العجب ان يكون المحسوس المشاهد محالاً والحق المحصحص امنية شعرية ونحن نعلم وكذلك الدكتور كيف يعيش الفقرآء المحتاجون في ظلال المحسنين وما رأينا ولا سمعنا قط ان احداً منهم مات من الجوع اونبذ بالعراء . بل لم نر احداً من اولئك المحتاجين من يتمنى نعمة امثال الدكتور فيغبطه على مثل ماهو عليه وقد توقع ان يعارض بقضية الزكاة فذكر ان العرب هموا بترك دينهم ليتخلصوا منها فكان كمن يهرب من المطر فيقع تحت الميزاب . اذ خاف

المعارضة فوقع في المناقضة . حيث حكم هنا بشح العرب وضنهم على الفقراء بالزكاة وذهب في غير هذا الموضع الى ان سقوطهم وصغارهم وقع من حيث جهلهم بعلم الاقتصاد وايثارهم على النفس وتفريقهم مايرثونه اويكتسبونه على الفقرآء والمساكين. مغترين بقول امام الأئمة فيهم ان الادخار اربعين يوماً يخرج المرء من المقام المحمود.

( ومنها قوله ) وقد انحصر الاخلاص عند الغزالي في الامور الدينية لغلبة هذه الامور عليه . ولو كان الغزالي من الذين باشروا الحركات العامة ووقفوا على الشؤون الاجتماعية لذكر لنا ضروباً من الاخلاص في نهوض الافراد في امهم . وكيف تشقى الشعوب بأصحاب الاغراض . فليس الاخلاص وقفاً على الصلاة والزكاة والحج والصيام بل الاخلاص فيما بين الرجل وبين أمته اوجب من الاخلاص فيما بينه وبين ربه . لان حرمان الاخلاص في العبادة لا يضر الله شيئاً .

( أقول ) وهذا يدلك على جهل الدكتور بالامور الشرعية حتى انه لم يدر حتى الآن ان الاخلاص عند جميع الفقهاء ومثلهم الغزالي ليس وقفاً على الصلاة واخواتها بل هم يحضون على الاخلاص في كل شيء ويصرحون بأن الشيء متى دخله الاخلاص كان عبادة حتى الوطأة يطؤها الزوج زوجته يقصد بها قوة المسلمين بكثرة التناسل . واللقمة يأكلها مريداً بها القوة على العمل في الدين . وكيف لم يكن الغزالي ممن باشروا الحركات الاجتماعية والدكتور نفسه يقول في صحيفة ( ٢٥١ ) من كتابه ان الغزالي لم يغفل عن الشؤون الاجتماعية وهو يتكلم في الرياء وقال في الصحيفة التي تليها وللغزالي في هذا اللباب نظر بعيد فهو يعين العيوب الاجتماعية وهذا من بعض مناقضات الدكتور في المواضيع. ان الشرع لم يترك شيئاً في العبادات والمعاملات التي تحيط بالهيآت الاجتماعية . او ليس قوله عليه السلام ( لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ) . وقوله ( من غشنا

فليس منا ) وقوله ( خير الناس من ينفع الناس ) ( التاجر الصدوق مع النبيين والشهداء ) وما اشبه هذا من العلوم الاجتماعية وطلب الاخلاص فيها ويكفي الغزالي علماً بمثلها عن المامه بالحركات الاجتماعية ان كان كما يزعم حضرة الدكتور وقوله بل الاخلاص بين الرجل الخ . نظر فاسد لا يستند في ذاته الى اصل شرعي لان الشرك الاكبر كذلك لم يضر الله شيئاً والله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . وان كان سافك الدم وهاتك العرض وهو اضر ما يتضرر به العباد . وذلك لانه سبحانه خلق الخلق من اجله لا من اجلهم . فمن عمل منهم عملا يريد به غير وجه الله فهو عابد به ذلك الغير . والله يغار ان يخلق ويعبد غيره ويرزق ويشكر غيره . وفي الصحيحين ( انما الاعمال بالنيات وانما لكل امر ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه ) أما عدم الاخلاص بين الرجل وبين امته فعلى العكس مما يذهب اليه الدكتور فالامة لا ينالها من عمل واحدها الا الاثر الواصل اليها من اصطناع المعروف وذلك واصل اليها سواء رأى في ذلك او اخلص . بخلاف العمل لله لانه انما يناله التقوى من القلوب على ان الغزالي عرّض كثيراً على الاخلاص لأمته فهو يقول كما يقول الرسول ( من غشنا فليس منا ولا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ) وهل ثمة اوقع واجمع لمنافع المجتمع من هذا. فالغش والاغراض في معاملات الناس غش مع الله في عباده . ويعلم الغزالي ان الدين النصيحة .

( ومنها قوله ) وهذا اي القول بلزوم الصمت من الغزالي اغراق يجب السلامة. ولم يتنبه الغزالي لخطر ضرب مثاله للفضول ببيان الشخص رحلته وما لاقاه في سفره فان الكلام عن الاسفار والرحلات من الامور ذوات البال

والتحدث عن طبائع البلاد واخلاق الناس وذلك من المستحسنات ونحن مدينون بما نعلم من عادات الامم واخلاقها الى هؤلاء الذين يتحدثون بما لا يعنيهم فيقصون علينا ما رؤا في اسفارهم من الجبال والانهار وغير ذلك . ( اقول ) اما ان كانت احاديث الرجل من قبيل ما ذكره الدكتور في طبائع البلاد واخلاق الناس فقص للاعتبار والحذر والانذار فهذا لا يدخله الغزالي في هجر الكلام وفضوله وكيف يعد ما هو ذو بال فضولا ام كيف ينهى عن خلق ويأتي مثله فقد قص علينا كثيراً من رحلاته وما لاقاه في اسفاره وازخر جملة مصنفاته بالحكايات والاقاصيص وعد ذلك منه براعة في ترويج مواعظه بل الله سبحانه قص علينا كثيراً من رحلات الانبياء وما وقع لهم فيها فكانت قرآناً يجزل الثواب لمن يتلوه بكرة واصيلا. وقد حثنا على الرحلة واستكشاف اكناف الارض فقال (قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشئة الآخرة وقال (افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها (وقال ولو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) فقد اصبحت احاديث الرحلة فيما يرى الغزالي وعلماء الشريعة من الواجبات الدينية واما ان كانت احاديثها مما لا خير فيه كأن يروي ما وقع له في امر طعامه وشرابه وسيره واسرائه وتعريسه وادلاجه او كان غير متجاوز بسفره بلاده المكشوفة الحال له ولغيره وانما يقصد بتلك الاقاصيص التفكه والتشدق وتزجية الاوقات فهو فضول من الكثير الذي قال سبحانه فيه (لا خير في كثير من نجواهم بل اللغو الذي يجب الاعراض عنه والبعد عن الخوض فيه اذ فيه يصف سبحانه المؤمنين بقوله ( والذين هم عن اللغو معرضون ) .

( ومنها قوله ) تكلم الغزالي عن العلم والعمل وقد لاحظت انه لم يكن موحد الرأي في هذا البحث فتارة يقدم العلم على العمل واخرى يقدم العمل

على العلم ويخيل الي أن نزعة الصوفية هي السبب في هذا التردد .

( أقول ) قد يكون العمل غاية والعلم وسيلة له كالصوم والصلاة والحج والزكاة فان العلم بأركانها وصفاتها وسائر ضروراتها وسيلة الى العمل بها وهنا العمل مقدم على العلم وقد يكون العلم غاية والعمل وسيلة على عكس ما ذكر كالعلم بالله بذاته وصفاته وافعاله واسمائه وهو غاية تلك الاعمال المفروضة فهو مقدم عليها لانه غايتها والغزالى يتبدل بتبدل الموضوع ويتطور بتطوره والدكتور لما اغفل هذا وصمه بالتردد ونفي التوحيد .

( ومنها قوله ) ولو جرأ الغزالي قليلا لبين لنا ان العلم النافع لا يقتصر على معرفة العبادات وما اليها من دقائق التصوف والتوحيد . بل هناك البحث في طبائع الاشياء والتنقيب عن السر في ان الله سخر لنا ما في الارض جميعاً غير انه لم يكد يذكر قوله عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم .

( أقول ) ان اراد الدكتور بالنفع النفع الدنيوي الحاصل من التنقيب في الطبائع فذلك بين بنفسه يعرفه كل احد ولم يكن موضوع بحث للغزالي فيما يكتب وان اراد النفع الاخروي فان علم الطبيعة لا صلة له بالدين الا بالنية بأن يراد به وجه الله وكان ضرورياً لحفظ الدين بمقتضى الظروف ولكن الغزالي لم يكن امام الأئمة فيه ويرى الدكتور ان العالم المذكور في الحديث ذا الفضل على العابد هو العالم الطبيعي او الصناعي ليس العالم بالله ووحدانيته وبما يجب له ويستحيل عليه ولا يبعد عن مثله ان يفضل علماء الطبيعة والتصرف في المواد على الانبياء والرسل لان الاولين هم العلماء في ما يرى والآخرين عباد لاغير لانهم كالغزالي لم يأتوا الا بمعرفة العبادات وما اليها من دقائق التوحيد . فيقترح الدكتور على الغزالي تصريحاً وعلى الرسل تضميناً ان يشرعوا علوم

الطبيعة والمادة وما اليهما تشريعاً فيجعلوها عبادة وفضلا اخروياً وهي متاع الحياة الدنيا وزينتها الهمها سبحانه للناس فساقهم الهوى الى التجاوز فيها فنسوا الله بها فقتل بعضهم بعضاً وقهر بعضهم بعضاً من اجلها . فجاءت الشرائع بالعبادة الصرفة لتلفتهم بعض الشيء عنها وتكسر ثورة شرههم ؟ عليها فكيف يقترح عليها ان تأتي بالترغيب فيها وحض الناس عليها ، وتجعل للعالم بها فضلا على العابد والعارف بالله. والغزالي امام ديني لا رئيس صنعة ولا تجارة ولكل وجهة هو موليها فهو يؤكد ما جاءت به الرسل وما جاؤا بشيء من علوم الفن والطبيعة. فان ذكر الغزالي شيئاً منها فهو لفرط ذكائه واتساع صدره لمثلها علاوة على العلوم الدينية وانما يذكر مثل ذلك للاعتبار الذي عناه الدكتور وقد ذكر في كتبه من علم الطبيعة وعلم الهيئة والافلاك وعلم الحيوان والنبات والمعادن ما لا يعرفه حضرة الدكتور ولا الم بمعشاره . نظر الشريعة نظر رحمة عامة فجميع نوع البشر من حيث هو جاءت ترشده الى العيشة الراضية واصلاح البال ما جاءت لتغري شعوب البشر بعضهم ببعض فيتنافسوا بينهم باختراع طيارات ونيران ورجوم وحسبان ليمحق بعضهم بعضا وابتداع عبقريات في المطعم والمشرب والملبس والمسكن ليهلك بالاقتصاد بعضهم بعضاً وانما ذلك افراط في اسباب الحياة وان وجب الآن على كل امة لتدرأ الشر بالشر وانما كلا منا على غاية الشرائع بنظرها الاصلي العام . ولقد اظهر الصناعيون والطبيعيون السر المكنون في طبائع الارض وموادها وعلم الناس كيف سخر الله لنا مافيها من العجائب كما سخر مخرجها لنا وليست هذه العبرة الدينية والتبصرة الالهية بالاشياء المخترعة متوقفة على ان يكون مخترعها الغزالي او الجيلي او ايا كان من عالم الشرق او الغرب .

( ومنها قوله ) ما رأى الغزالي اذا توقف فهم الكتب السماوية على ادراك روح التشريع بفهم اصول القوانين او توقف عجائب النفوس الانسانيه والحيوانية

على علم النفس وعلم وظائف الاعضاء او توقف معرفة الرسل على درس التاريخ القديم والحديث او توقف ادراكما في الكتب السماوية من سياسة على علم الاجتماع.

(اقول) ان الواقع خلاف هذا الرأي الذي ابداه حضرة الدكتور فإنا نجد المولعين بدرس هذه الفنون ابعد عن تقدير حكمة الدين واصد عنه ممن لا المام لهم بها نجد ان القانونيين يقولون بضيق الشرايع عن مايحتاج اليه الناس في امر معاشهم ومعترك حياتهم وعلماء التشريح ووظائف الاعضاء ينكرون بقاء الأرواح وبعثها بعد الموت ودراس التاريخ يكذبون كثيراً من القصص التي جاء بها القرآن وأكدتها السنة وقراء علم الاجتماع ليسوا باقل شراً من اولئك الاصناف الحائدين عن سواء السبيل. اما القوانين فما وضعها الواضعون الا باعتقاد ان الشرائع لم تكن كافية لما تأتي به الحوادث وتبدل الظروف وذلك كفر صريح على انها مقتبسة من اصول الشريعة سيما القوانين الاخيرة فلا تكاد تخرج عن اصول المجتهدين كأبي يوسف وابي حنيفة واضرابهما واما علم احوال النفس ووظائف الاعضاء فقد الف الغزالي فيها كتباً قيمة كافية للاعتبار وانما نهى عنها اولئك الجهال الذين يضلون بها طريق الحق ويجحدون حقيقة الروح ويقولون انما هي مزاج دموي واما علم التاريخ فلا يعتمده الا الخاطئون فانه حطب ليل واما علم الاجتماع فلا يعتقد مسلم ان الشريعة ابقت مجالاً لقلم الغزالي وغيره أن يزيد فيه شيئاً لم يكن مذكوراً. اللهم الا علم المقامرة والمراباة والدانس والكفشنطا وألاعيب كشكش وما اليها من الشعوذات،

(ومنها قوله) احب ان اضع هذا السؤال أيكون من يشغل نفسه بهذا النوع من المعرفة افضل امام العقل والشرع ممن افنى عمره في درس الطب حتى استطاع ان يعرف كيف تغزا الديدان التي تحدث البول الدموي والتي تهلك في كل عام مايعد بالملايين وهل يقدم محي الدين ابن العربي يوم القيمة على

من يقضي حياته لافي التفكر في ملكوت الله بل في غزو السل والسرطان

( اقول ) وانا احب ان اسأل حضرة الدكتور هذا السؤال ايكون من افنى عمره في درس الطب حتى استطاع ماذكرت افضل امام العقل والشرع أم محمد رسول الله وهو ابعد من الغزالي وابن العربي عن الانهماك بالطب وغزو الديدان وهل صحة الابدان وسيلة بقاء نوع الانسان وبقاؤه وسيلة لمعرفة الله والعلم به وبملكوته وهما الغاية المقصودة من خلقه بالذات ام الامر على العكس من هذا وهل العلم بالغاية اشرف وعلماؤها افضل ام علماء وسيلة الوسيلة ثم اخبرني هل ان قتلى تلك الديدان في محل خلو من غزاتها اكثر ام في محل يكثر فيه اولئك الغزاة ثم مابالنا لنرى الشيب شذاذ الموت فيهم اكثر من شذاذه فينا ومحيطنا يشتمل على الآف البادين من الاعراب وما فيهم غاز واحد ويندر ان يقع منهم في السنة شهيد واحد بتلك الديدان ونسمع يومياً بمن يموت بها من نفس اولئك الغزاة فما هذا التعصب الاعمى في الفن بمالا يعرفه نفس اهل الفن وهذا القرآن مملوء بالثناء على العلماء بالله وبملكوته ويقول (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السماوات ) وهل رأيت ولو آية واحدة تثني على علماء الطب والتشريح ومعرفة وظيفة الاعضاء ان هذه فنون صناعية يفطر البشر طبعاً لتأسيس مباديها ثم ترقيها وذلك هو المقصود من قولهم خلق الانسان مدنياً بالطبع فلاصلة بين هذه الفنون وبين علم التشريع

( ومنها قوله ) وقد بلغ من اغراب الغزالى في التصوف ان جعل الفقه من علوم الدنيا وألحق الفقهاء بعلماء الدنيا وانت تعلم قيمة الدنيا عنده والفقه لاقيمة له بنظر الغزالي لانه يتعلق بسياسة هؤلاء المناكدين وان النبي كان فقيهاً وهل بلغ من هو ان الدنيا عندك ان تحتقر لاجلها الفقه والتشريع

( اقول ) غالط الدكتور ههنامغالطة قد خرجت عن موضعها الى البرادة

والسماجة فأوهم ان الغزالي يحقر الشريعة والفقه بل الرسول لكونه فقيهاً وليست هذه الغيرة وهذا السخط على الغزالي من اجل الفقه والشرع او الرسول المشرع بل لانه يستحقر الدنيا و يستخف بها ولذلك تجده يتميز غيظاً كلما مس الغزالي الدنيا بسوء وهي هينة عند الله ورسوله شاء ام ابي فالله يقول وما الحياة الدنيا الا متاع و يقول ( فلا تغرنكم الحياة الدنيا ) ومتاع الدنيا قليل والآيات الواردة في تحقير شأنها فوق الحصر والرسول يقول والذي نفسي بيده لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى منها كافراً جرعة ماء. وعلم الفقه من علوم الدنيا بلا شك واجل ما فيه الصلاة وقد جعلها عليه الصلاة والسلام من الدنيا اذ قال حبب الى من دنياكم ثلاث وذكر منها قرة عينه في الصلاة وكونه من علوم الدنيا لايوجب الاستهانة به ولا نقصاً في قيمته فالدنيا مزرعة الاخرة وكل اعمالها عبادة ان قصد بها وجه الله . ايرى حضرة الدكتور ان العلم بأن حقيقة الزنا في الشرع ان يدخل البضع في البضع وَحدُّه ان يرجم الزاني المحصن حتى يموت هو علم من العلوم المتعلقة بالله او باليوم الاخر وهل العالم بهذا العلم يكون من علماء الاخرة ولو اراد به الترأس او الاستقضاء او الاستفتاء وسيلة للتوصل الى الراتب او الرشوة وهل وضع هذا الحد على الزاني وأوجب على الفقيه العلم به لانه عبادة وقربة الى الله ام لانه شر وضر من حيث ذاته دعى الى وضعه الزناة المنا كدون واي غريبة جاء بها الغزالي ههنا لكن الدين اصبح كله غريباً عجيباً يضحك منه امثال الدكتور . .

( ومنها قوله ) ان الله لم يبعث محمداً الا ليمكن للمؤمنين في الارض و يجعلهم أئمة و يجعلهم الوارثين

( اقول ) ونحن نوافق حضرة الدكتور على ذلك ولكن نخالفه في سبب هذا التمكن والجعل هو يقول ترك الاهتمام بشأن معرفة الله الى الاهتمام بالعلم

بغزو الديدان والسرطان ونحن نقول سببه التقوى والصلاح والله يصدقنا ويقول (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منكم ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم) ويقول (والذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة) ويقول (ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد) ولم يقل ذلك لمن غزا الديدان والسرطان والدكتور لايعتمد الا على الماديات ونحن على المعنويات اشد اعتماداً منا على الماديات ونعتقد اننا لو استقمنا على الطريقة لهيأ لنا سبحانه اسبابا لانعلمها في تمكيننا في الارض ولو بان يعطينا عقلا نعمل به على مايريد الدكتور .

(ومنها قوله) واما التوحيد فهو عند الغزالي وقف في جوهره على علم المكاشفة وما هو علم المكاشفة هو علم لانعرفه ولكن يقال ان سوء الخاتمه معد لمن ليس له منه من نصيب

(اقول) ونحن نعلم ان الدكتور لايعرف ماهو علم المكاشفة. ولو حلف لنا ايماناً بالغه انه يعلم منه شيئاً ماصدقناه وكيف نصدق من نحن في شك من ايمانه انه ولي من اهل المكاشفة والشهود . علم المكاشفة وما ادراك ماعلم المكاشفة هداية بعد كمال الايمان لمن عقل قوله تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) وما هذه الهداية التي يكون الايمان سبباً لها وسيلة اليها وهل بعد الايمان الا المكاشفة والعيان المكاشفة هي العلم الذي يقول الرسول فيه (ان من العلم كهيئة المكنون لايعلمه الا العلماء بالله تعالى فاذا نطقوا به لاينكره الا اهل الغرة بالله عز وجل) امامن لم يكن له نصيب من هذا العلم فهو على خطر من سوء الخاتمة. ولقد شاهدنا كثيراً من ابناء هذا العصر ممن خلعوا ربقة الاسلام ذلك بانهم بنوا ايمانهم على قواعد النظر والبرهان فادخل عليهم شياطين الانس الشبهة فيه فانقلبوا خاسرين . وقد يروى تحير الفخر الرازي فيما يعتقد لما لم يكن من اهل تلك المكاشفة فما ظنك بمن بعده

من اهل الاراء بخلاف العامة فانهم في عافية من هذا الخطر لانهم مالديهم سوى صريح الايمان

( ومنها قوله ) وانا لا ادري سبب هذه الشهوة الغريبة التي تحمل علماء الدين على البحث عن ذات الله وصفاته ويطمع الغزالي في معرفة ذات الله معرفة حقيقية وهذا والله عين الجهل وانما سبيل المؤمنين ان يتأملوا مايحيط بهم من جلال الوجود وان يبحثوا في المراد من ان الله سخر لهم مافي الارض جميعاً

( اقول ) قد اجمع علماء الدين والغزالي معهم على استحالة معرفة ذاته سبحانه كما هي عليه وقالوا (والعجز عن درك الادراك ادراك والبحث عن سر كنه الذات اشراك) وقالوا كما قال رسولهم صلوات الله عليه (لايعرف الله الا الله وان الملأ الاعلا يطلبونه كما تطلبونه) والدكتور في جنبة من علم الصوفية فلا يكاد يفهم من اصطلاحاتهم شيئاً ولما رأى مباحث الصوفية في تجليات الذات وعميت عليه غوامض معانيها ظن انه انما يطلبون معرفة الذات بحقيقتها واما تعرف الصفات كاحاطة علمه بكل شيء وكمال قدرته على كل شيء فلامحذور فيها بل حضنا الشرع عليها وندبنا اليها بعدة آيات فكلما اخطأ فهم الدكتور القصد في مسئلة من مسائل الصوفية نسب ذلك الخطأ اليهم واخذ نفسه بالافتراء عليهم

( ومنها قوله ) فانه ليس للعاقل ان يترك الانتفاع بما تلمس يده وترى عينه ويغيب في مجاهل من الظنون يسميها سفهاً علم التوحيد وما اسفت لشيء أسفي لانحصار الافكار الاسلامية في معرفة معنى النبوة والنبي ومعني الوحي ومعرفة ملكوت السموات والارض ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار فان هذه في الاصل اكثرها رموز ظنها المسلمون حقائق

( اقول ) قد صرح الدكتور في هذا الفصل بانكار الآخرة والجنة والنار وانها فيما يرى رموز واشارات لاحقيقة لها فاسف كل الاسف على من يضيع

وقته من المسلمين بالبحث عنها والتعرف لها . وهي اوهام صرفة وخيلات محضة و بين ان الأولى لنا معشر المسلمين ان نتمسك بما تلمس يدنا وترى اعيننا من هذه الحياة الدنيا وذلك خير لنا من حديث الآخرة الموهوم وادعى ان الافكار الاسلامية كلها منحصرة في امر الدين وما يتعلق به من شيء ور بما اشار بذلك الى مانسمعه من بعض العصريين وهو ان سبب انحطاط المسلمين انما هو تمسكهم باهداب هذا الدين فان لم يرفضوه فانهم لا يفلحون . والمنصفون يقولون ولو نعلم ان الحق مايقول لنا لتابعناه عليه ولكن نخشى ان اتبعناه ان نكون قد فارقنا ديننا ونعلم انه الحق كما ان النار حق والجنة حق واللتين لمة الملك ولمة الشيطان حق وما يجحد بها الا الكافرون . ولان نسبنا الذين يحسنون فرض هذه الصلاة المكتوبة من المسلمين الى بقيتهم لوجدناهم واحداً في الف والباقون كلهم قد فتنوا بالحياة الدنيا فهم على افظع حالة تقشعر منها جلود حتى المجوس فضلا عن انحصار افكارهم كما يزعم الدكتور في معرفة الله ومعرفة ملكوته فمنهم من يقتل اخاه ليكون اميراً مكانه ومنهم من يقتل اباه ليخالفه الى تراثه ومنهم الفاجر المستشيط بفجوره والمارق الفار من دينه كما يفر من سوءته وقد يلعن اوائلهم اواخرهم و يشتم سوقتهم علماءهم وغوغاؤهم افاضلهم نفاقاً يتقربون به الى عدوهم فتدابروا وتخاذلوا حتى سقطوا سقطة لا ينالون منها من بعد حتى يلج الجمل في سم الخياط .

( ومنها قوله ) والذي يطلع على الكتب القديمة يرى جمهور الفقهاء اعلم بخريطة الآخرة منهم بخريطة الارض فهم يعرفون من انهار الجنة مالا يعرفون من انهار الدنيا ولا يجد القارئ كتاباً واحداً في تحديد المراد من الخلافة الاسلامية التي قام بسببها آلاف الفتن .

( أقول ) الدكتور يعلم انه انما يكتب لجماعة امين لا اطلاع لهم على كتب الفقهاء ولذلك لا يستحي ان ينكر ما هو ثابت مقرر في كتبهم فقد انكر ان

يوجد كتاب واحد الفه الفقهاء في تحديد المراد من الخلافة الاسلامية .ولا يكاد يخلو في الحقيقة عن تحديد المراد منها كتاب . ووظيفة الفقيه وموضوع بحثه الآخرة وهو قد اعطى وظيفته حقها ورسم خريطتها على الشكل الذي رسمه له القرآن وخططه بنان السنة ولا يجب على الفقيه ان يعلم خريطة الارض وليس هو من متخصصيها بل وكل امرها لمحنكي الامة كأمثال الدكتور اذ الفرد الواحد لا يقوم بجميع شؤون الامة .فقصر اولئك المحنكون في ما وجه به اليهم والفقيه نفس تلقيبه بالفقيه يدرأ عنه المسؤولية في بيان خريطة الارض وهل رأيت المنصفين من اهل الكتاب يسألون الرؤساء الروحانيين عن خريطة الارض وكشف المعادن واختراع الصناعات والدكتور يفضل نفسه على اولئك الفقهاء ولم نر له برهاناً لا في العلم بخريطة الآخرة ولا بخريطة الارض وما نراه قد تخصص فيما كتب الا لقدح الاوائل ونقد الافاضل من امته افهكذا يكون الرجال النابغة المتنورون .

( ومنها قوله ) ونحن نقاضيهم الى القرآن ففيه الدعوة الى الملك والى ان تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.وهل الاخلاق شيئاً آخر غير حرب الذلة والقلة في الافراد والجماعات والشعوب .

( اقول) الاخلاق هي التقوى وبها تذهب الذلة والقلة كما ذهبت بذلة الصحابة وقلتهم والعزة للمؤمن بالتقوى ولو شري بثمن بخس دراهم معدودة كيوسف عليه السلام ولوخدم ورعى الغنم كموسى عليه السلام والذلة للفاسق والفاجر ولو ملك الدنيا يفعل ما يشاء كعزيز مصر وفرعونها وقد تملك الرسول واصحابه اقطار الارض وكانت العزة لهم وما كان لديهم غرر المؤلفات في الامور السياسية والاجتماعية ولا بصيرة نافذة الي اعماق الحياة الدوليه ولا خبرة بالسريرة الانسانية بالمعنى الذي يقصده الدكتور. فان ادعى انهم كانوا على شيء من ذلك فلم لم يكتف

به حتى يقول ( ونطالب كل مسلم بالحذر البالغ عند مطالعة كتب المتقدمين فان اكثرهم لم يعرف الامور السياسية والاجتماعية. والا فاين غرر المؤلفات في الامور السياسية والاجتماعية واين البصر النافذ الى اعماق الحياة الدولية بل اين الخبرة بالسريرة الانسانية ) فلم يعد الكتاب والسنة من غرر المؤلفات فيها ولا ما عليهما للعلماء من بيان شرح وتفسير ولم لم يكتف بما دونه علماء المسلمين كابن سينا وابن الرشد والفارابي وابن الاثير وابن خلكان وابن خلدون وامثالهم وما كتبوه من علم التاريخ والجغرافيا وعلم السياسة والفراسة والقيافة والعرافة ودهاء العجم ومكر العرب وما ترجموه عن حكم اليونان الى غير ذلك مما فيه التنبه على كل شيء . وربما اراد الدكتور بعلم السياسة الكذب والتدجيل والتمويه والتضليل فان علماء الاسلام لم يؤلفوا في ذلك شيئاً كما يقول . ولقد تداولت الاضداد هذا الكلام فعاد بالنقض منطوقه على مفهومه ومفهومه على منطوقه فانه ناطق بأن القرآن حكم عدل يقضي بالحق فدعانا للتقاضي اليه وانه يدعوا الى الملك والى ان تكون العزة لله ورسوله وللمؤمنين وذلك يلزمه ان يكون في الكتاب والسنة ما يعد المتأسين بهما لنيل الملك والعزة من غير حاجة الى سواهما على حين افهمنا ان القرآن قاصر عن تعليم السياسة والحياة الدولية والسريرة الانسانية فلا يصلح ان يكون قاضياً بين الخصمين ولا كافلا لان تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين والا لما اقترح على علماء الاسلام ان يؤلفوا غرر التآليف في ذلك ولا كتفى بالكتاب والسنة وسياسة الرسول وتعاليمه وما تفسحوا فيه منها عن استنباط واجتهاد .

( ومنها قوله ) ويحسن ان نذكر ما لاحظناه على الغزالي حين تكلم عن التشريح فقد قرر انه يسير بفريق من العلماء الى ان النفس تموت فان سألناه هل يقتضي ذلك تحريم التشريح وبالطبع ليس عند الغزالي جواب على هذا السؤال. ( اقول ) نعم جواب هذا السؤال السكوت لانه لا يصدر الا عمن استخف

بالايمان فلا يجد فرقاً بينه وبين الكفر الا فرق ما بين التمر والرطب او ما بين الكلمتين المترادفتين والا فأدنى من اوتي ذرة من الايمان يعلم بالضرورة من الدين ان من انكر شيئاً مما جاء به القرآن او اقدم على علم او عمل وهو يعلم او يظن غالباً انه يسير به الى انكار ذلك الشيء فهو كافر كمن لا يحكم بكفره وحالته تلك قال تعالى فيمن انكر شيئاً من القرآن (وقالوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض اولئك هم الكافرون حقاً) ولا يمكن الدكتور ان يقول ذلك كفر عن عناد لا عن اجتهاد لان المعاند لا يؤمن بشيء ويكفر بشيء ولا يحل لمسلم ان يقدم عليه الاان يكون كامل القريحة راسخ الايمان طيب الشاكلة حسن الملكة. وكذلك الجواب عن سؤاله في مباشرة حب الجمال الذي يجر الى الفسوق فان تحقق او ظن جره اليه فهو هو لا غير.

(ومنها قوله) ان الغزالي لم يذكر اصلا من اصول الاخلاق يبرر رأيه في الفنون فقد أتى عليها جميعاً بالنقد والتجريح واحب انه لو تروى قليلا لعرف ان لله سراً فيما تحدث الفنون من انواع الفتون.

(اقول) يسمى الدكتور الفن خلقاً والحرفة طبيعة فهو يأتي بكل غريبة مريبة ما سبقه بها احد من العالمين والغزالي حجة الاسلام عارف ملكوتي لاشغل له باصول الفن والصنعة كنبيه عليه الصلاة والسلام وللفن اخصاء يعملون عليه فان قصروا فيه فهم المسؤولون عنه وهو لم يقبح الفن والصنعة الا على من تبع سبيله في التجرد الى الله فهما شغل شاغل عنه. واما من ليس هذا سبيله من عامة الناس فهو يحرضه على الصنعة والحرفة ويفضلها له على عبادة النوافل والشاهد كتاب الاحياء له. وليس كل ما لله فيه سر يجب ان يحض العالم عليه فان لله في كفر الكافر واستشاطة الشيطان وفجور الفاجر حكمة وسراً لا ينكر فلا ولا يحل لنا ان ندعو الناس الى الكفر والاستشاطة والفجور لاستظهار ذلك السر

فان اراد الله اظهاره قيض له خبثاء يعملون على شاكلته ومن لم يعتبر بسر الشمس والقمر مثلا لم يعتبر بسر الانوار الكهربائية ومن عمي عن التبصر بحكمة الطير صافات والسحاب المسخر بين السماء والارض لم يهتد بسر الطيارة والمنطاد ولو شاء لهداكم اجمعين . ونرى المبصرين بسر هذه الفنون لم يتقربوا بها الى الله زلفى بل هم ينهون عنه ويتأون عنه وهم بربهم كافرون .

( ومنها ) اخذه على الغزالي في ذمه الشعر لقوله عليه السلام ( لان يمتلأ جوف احدكم قيحاً خير له من ان يمتلأ شعراً )يقول قد أوجبته الظروف والتجرد له هو من صنعة الشاعر الفنان الذي يريد أن يمثل عصره وقطره في صحيفة التاريخ .

( أقول ) وهذا النظر هو الذي جعل اكثر نابغة العصر يهرعون الى صناعة الشعر وان يجعلوا له شأناً عظيماً في جملة الفنون لما عجزوا عن الحصول على سواه وشأن هؤلاء عجيب قد مزقوا اهاب العلماء وجلود المشايخ بأنهم حصروا افكارهم بالعلوم الدينية فلم يكتبوا شيئاً في اصول هذه الفنون الوبيلة وهم يحصرون افكارهم في هذه السفاسف كالشعر والتصوير ورسم الخرائط فتباً لهم من ناصرين لهذه الامة تباً لهم . فليصفوا عصرهم وقطرهم بالشعر كما يصف الرجل الضعيف للباغي القوي جمال زوجته او لينثروا بالشعر عباراتهم على ما فاتهم من اقطارهم وما يجدي البكاء ولا العويل . وترى الدكتور يرى اثراً عظيماً للظروف في تحليل الحرام وتحريم الحلال ولو كان ذلك الحق لتوجه لنا على الشارع اعتراض كبير لعدم تحديده أجلَ التحريم والتحليل اويفوض الامر بالاذن في ذلك لاجتهاد دهات الامة كحضرة زكي مبارك فلا يطلق فيهما على التأبيد .

( ومنها قوله ) فلنذكران الغزالي يحرم من اجل الخمرة هذه اللذة الروحية

البديعة الموسيقية فهي عنده ام الخبائث واصل المنكرات .

( أقول ) وهكذا وصف الخمرة نبينا عليه الصلاة والسلام ولتكن عند الدكتور هي ام الطيباب واصل المكرمات فقد اصبحت قبيحة عند كثير من الامم لانها تغتال العقل وهو اشرف اوصاف الانسان بل به كان الانسان انساناً وفارق سائر الحيوان وبه اعتقله الفاطر الحكيم عن كل خبيثة وما يأتي الانسان قاذورة من قاذوراتها الا بعد ان يودع عقله وفؤاده منه هواء .

( ومنها قوله ) واول ما يلتفت اليه النظر رأية في الغناء موافقة للشافعي في ان الرجل الذي اتخذ الغناء صناعة لا تجوز شهادته لانه من اللهو المكروه. ومتى كان الغزالي يرى ان متحرف الغناء مردود الشهادة فانه لا يرى للغناء قيمة وما ظنك بفن يهبط بصاحبه الى الحضيض ويسقط عدالته بين الناس .

( اقول ) ليُقدر الدكتور في نفسه ان لو اراد ان يبهته احد منفذي بلده بجناية شنعاء تخشى مغبتها ، واراد ان يقيم عليها بينة من اولئك المغنين الذين اتخذوا الغناء حرفة او من صنف التجار ارباب الوجاهة والوقار . افلا يجد فرقاً بين تينك البينتين فهما عليه سواء . ام يرتات في الاولى دون الثانية فيتابع الشافعي والغزالي على الريبة في امر المغنين ، موازنة أخرى هي ان يقدر أنه يحسن الغناء وما ادري لعله يحسنه ثم يكلفه بين امراء بلدته وعظمائها هل هو مغنيهم أم يجد انه يحشم في ذلك . فان وجد ان لا بأس عليه فيه فليعلم ان نفسه عليه صغيرة هينة لا تأبى عليه الدنيآت . فاليتنقل بهذا التقدير الى ملك دياره وسلطانها فهل لا يغض بكماله ان يغني الناس . فان رأى الغض فليعلم ان الغناء خلة في نفسها رذيله . وان لم ير بأساً بغناء الملوك والامراء كذلك فليعلم انه مغلوب للعادة والشيء متى اصبح في قوم عادة حسن لديهم العمل به سيما ان كان فيه للنفس لذة ولو كان في نفسه غير شريف .

( ومنها قوله ) ونحن متى ذكرنا كلمة فن فإنا نذكر بجانبها ما يجب على الافراد لان الفن ليس ضرباً من اللهو المكروه وان كان من واجب كل فرد عند الغزالي حرب فن الغناء حتى اصبح عرضة الانقراض .

( اقول ) ونحن نرجو حضرة الدكتور ان يذكر لنا كلمة فن ويذكر بجانبها الزنا ليكون واجب العمل على قاعدته ويا حبذا الواجب يجمع بين رضا الله . وارضاء النفس بما تهواه . ياحضرة الدكتور انا حر برأيي فباستطاعتي ان اقر لك بالقدرة على قلب الاعيان فتجعل الحرام او المكروه كالغناء واجباً والنجس طاهراً بأن تسميه فناً وتجعل الواجب حراماً كالصلاة حين لا تجعل لها من الفن نصيباً ولكن هذه الامة المحمدية لا تقبل فتوى لم يستند فيها الى كتاب الله او سنة رسوله . واليكم معشر المسلمين نص الدكتور في وجوب الغناء ( ونحن متى ذكرنا كلمة فن فانا نذكر بجانبها ما يجب على كل الافراد لان الفن ليس ضرباً من اللهو المكروه وانما هو مفروض ) او كما قال . أتخشى يا حضرة الزعيم انقراض فن الغناء لا تخش وابشر بأنه سيخلد ابد الدهر ببركة كلمة فن وضعتها الى جانبه فأصبح فرضاً واجباً على كل الافراد فوالله لاينقرض غير هذه الصلاة المفروضة وما اليها من فصول الدين حيث لم تحصن بكلمة فن وأنت المسؤول امام الله فيها حيث لم تغذها بتلك الكلمة .

( ومنها قوله ) فلنسجل هنا ان الرقص والغناء يجب فيما يرى الغزالي ان يكونا بعيدين كل البعد عن مثار الشهوات وما نريد ان نفصل اثر هذا التحرج في حياة الامم . وانما ننبه فقط على ان الغزالي يضع حول الشهوة اسواراً من حديد . ولا تخرج الاخلاق عنده الا رجالا مملوئين بالحيطة وقد بغضت اليهم بسمات الحياة . وقلما ينجح هؤلاء في ميدان الحياة لان التنسك باب الخمول .

( اقول ) نقل الدكتور عن الغزالي ما نصه ويباح السماع للعشاق تحريكاً

للشوق وتهييجاً للعشق وتسلية للنفس وهذا حلال ان كان المشتاق اليه ممن يباح له وصاله كمن يعشق زوجته او سريته فيصغي الى غنائها لتضاعف لذته وكذلك ان غضبت منه جاريته او حيل بينه وبينها بسبب من الاسباب فله ان يحرك بالسماع شوقه وهذا دليل اعتدال رأيه في هذا الباب غير متجانف لحرج ولا سفه . فان اراد الدكتور انه يحرج على الامم في حياتها بوضعه اسوار الحديد بينهم وبين مثل هذه الشهوات المباحة فقد علمت رأي الغزالي فيها وفي اباحتها . وان اراد غير ذلك من الشهوات المحرمة كمد النظر الى الراقصات الاجنبيات وسماع غنائهن وتهييج الشوق الى وجههن وتحريك الشهوة لجماعهن . فمن الواجب على امثال الغزالي ان يضع اسواراً من حديد بين ذلك وبين الامة كما وضعه الرسول . ولا حرج في ذلك عليها فان في المباح من الشهوات التي ذكرناها لمندوحة عن مثل هذه المحرمات . ولا يستطيع عالم ان يفسح على الامة بمثلها الا الراسخون في علوم العصر امثال حضرة الدكتور . واما الذين ملؤا بالحيطة عن الشهوات حلالها وحرامها وتبغضوا الى بسمات الحياة . فهم قوم خاصة قد ملؤا معرفة فاغناهم جلال الله وبسمات جماله عن بسمات هذه الحياة المنكدة المريرة . وامثال هؤلاء لم يستصرخوا الدكتور لينصرهم على الغزالي ويبيح لهم المحرمات . ويرى الدكتور ان التنسك عن هذه الشهوات المحرمة حرجاً في الامة وباباً في الجمود وان النجاح في ميدان الحياة لا يكون بالشوق والهيجان في جمال الحق أو جمال هاتيك الحلائل ، وانما نجاح الامة عنده وقف على الشوق لما بين افخاذ المغنيات المحرمات وارداف المغنين والراقصين .

( ومنها قوله ) ولا يفوتنا في ختام هذا الباب ان ننبه اجمالا على ان الغزالي لم يعن بتربية الاخلاق بتربية الاذواق فهو يكره التصوير .

( اقول ) لو استقرأ الدكتور الاحاديث الواردة في كراهة التصوير لتبين

ان المكره له هو الرسول . وانما الغزالي مترسم آثار . فان كان في ذلك من جناية او قضاء على الاذواق فلا تبعة على الغزالي فيها . وربما كان التصوير عبثاً وفضول تكلف وتشبهاً بالخالق اشراً وبطراً. وانما نراه تربية للاذواق لانه اثر بنان الاقوياء . ومن خطر خطر في جانبه كل شيء فعبثه جد وفضوله حكمة وسفاهته ادب ولو كان التصوير سنة من سنن الاسلام ما كان اهون علينا منه سوى هذه الصلوات المكتوبة . وان كثيراً من المصورين ليصوروا الشيء لا تجد في خلقه من تفاوت وكأنه خلقة الهية . ولما تكلم المصور تجدك قد استنهقت حماراً فتحسب انما يصور بالخاصية لا بالذوق والادراك كما يصور ذباب النحل كورات العسل .

( ومنها قوله ) وانما الاحظ انه لا معنى لان نحبب الى الطفل الثياب البيض بنوع خاص .

( اقول ) قد جاءت السنة باستحسان لبس الثيات البيض للرجال دون النساء وورد ان الله يحب من الثياب البيض ولا يبعد ان يترك ترداد النظر الى البياض اثراً حميداً في الرجال ضد ما يورثه دوام النظر في الملونات وليس لنا ان نسئل الشارع عما هو ذلك السر . كما يترك النظر الى سكينة الشياة السكينة ، والى أنفه الابل الانفة . قال عليه الصلاة والسلام ( السكينة في اهل الشياه والانفة في اهل الابل ) . فللمناظر في النفوس تأثير عجيب . وربما كانت الحكمة فيها انها خالية عن اي لون يليق برقة النساء دون شهامة الرجال . فان الملون يورث لابسه رقة وتخنثاً وتكسراً تنبو عنه الطباع السليمة والخطب في هذه المناقشة يسير .

( ومنها قوله ) وألاحظ كذالك انه لايصح ان يعلم الصبي ان هناك فئة مخنثة تميل الى الملون من الثياب فيحسن ان لا تطرق آذان الصبي بمثل هذا الهجو بل يجب ان لا يُعرَّف ان الطفل قد يخلق باخلاق النساء

( اقول ) ان معرفة معنى التخنث كلمة ضرورية للصبي فان لم تطرق سمعه من معلمه حين يعلمه اللغة فلا بد وأن يعلمها من اترابه وعشرائه وخير له ان يكرهها اليه المعلم قبل ان تلقى قلباً خالياً عن ضدها فتتمكن منه وقد يتخلق الصبي باخلاق النساء بتعاطي مايتعاطينه ولو لم يعلم ان ثمة نساءلهن خلق خاص بهن . بل يتسرب اليه ذلك الخلق كما يتسرب للصبي فعل الرياء والفخر على اقرانه وان لم يشعر بمعنى الفخر والرياء

( ومنها قوله ) ولا افهم معنى لان يدعي الطفل الى عدم ارخاء يديه بل يضمهما الى صدره حين يمشي

( اقول ) ان ارخاء اليدين بحيث يتطوحان في مشيته دليل الكسل وضعف الارادة بخلاف ضمها الى صدره اي اقسائهما في جانبيه فانه شعار الكيس وآية النشاط

( ومنها قوله ) ويضحكني ان ينصح الطفل بالصبر والاحتمال حين يضرب المعلم . وكان اولى له ان ينهى عن هذه العادة الشنعاء

( اقول ) الضرب ليس بعادة شنعاء . فمن الناس من لايحسن ادبه الا به وهو خير مما استعمله معلموا العصر بدلا عنه من الطرد والاقصاء عن التعليم حين لاتجدي النصائح نفعاً وقد امر الرسول بضرب الطفل من اجل التخلق بالصلاة ولكن الدكتور يترسم آثار محدثات العصر وهي عنده فوق مايأتي به التشريع

( ومنها قوله ) وليس للغزالي في هـذا الباب اي تعاليم الرياضة واللغة غير برنامج ضئيل يمثل ما كان يفهم في عصره من المدارس الاولية والابتدائية ولم تخطر له الرياضة ببال ولم يتعرض للغة والادب .

( اقول ) انما يبوء المدارس الاولية والابتدائية للاطفال الحكومة وما كان الغزالي وزير المعارف اذ ذاك . ولا سيطرة له على امراء عصره حتى يدعوهم لتشكيل المدارس و برامجها على مايشاء . وانما وضع ذلك البرنامج الضئيل فقط في

الامور الدينية وخاصة في المكاتب الاهلية ليتمكن الدين اولاً من قلوب الاطفال من قبل ان تأتي عليها الرياضيات فتفعل فيها كما فعلت بابناء عصرنا المتنورين . واما علم الرياضة واللغة والادب فالغزالي امام الأئمة فيها وتلامذته اساتذتها وهذه تآليفهم شاهدة لهم بها. ومن وضع لهذه المسميات اسماءها فقال علم الرياضة وعلم اللغة وعلم الادب ؟ اهم الغربيون ام مقلدة آثارهم العصريون ؟ .

( ومنها قوله ) والغزالي يعد الطفل في الواقع لان يكون جندياً في الحياة اذ يحرم عليه كل مظاهر اللين وان لم يغفل عن غايته الاخلاقية حين اوصى بان يعلم ان الموت منتظر في كل ساعة وارى هذه الوصية خطرة اذ تضعف العزم في نفوس الاحياء ولا تترك للاسلام نفسه جيشاً يحفظ به ثغراً او يفتح به قطراً وما كان الاسلام الا دين الغزاة الفاتحين

( اقول ) ان اسناده تحريم مظاهر اللين على حجة الاسلام افتراء عليه . وكيف يجتريء على تحريم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ولكنه يوصي بالاخشيشان احياناً لان الحاضرة لا تدوم . وان من استغرق جميع عيشه بالترف واللين ثم فقد بعض الشيء منه فانه على الخطر خصوصاً في احيان اسفاره واوقات اقتتاره . وانتظار الموت من سنن الاكياس وان اكيس الناس من اصبح لم تحدثه نفسه بالمساء وامسى ولم تحدثه نفسه بالصباح ولم يعد غداً من ايامه هكذا ثبت عنه عليه السلام . ولم يزل القرآن يذكرنا بالموت فيقول ( كل نفس ذائقة الموت ) انك ميت وانهم ميتون ) وانما تقضي هذه الحياة الدنيا ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ) ولو تذكر الناس بتذكيره سبحانه اياهم بالموت ما احتاج الناس الى جيش يحفظون ثغراً ويسفكون دماً ليفتحوا به قطراً وانما نشأ ذلك عن نسيان الموت وطول الامل وتوهم الخلود في هذه الدار والمراد بذكر الموت اشعار النفس بقصر امد الحياة فلا يرى الناس لها قيمة

بحيث يصادر فيها بعضهم بعضاً و يسفك بعضهم دم بعض وليعلموا انهم صائرون قريباً الى دار المقامة فهي الاحق بان يعمل لها العاملون. وليس المراد ان يتصور المرء خطر سكراته وزعازع غمراته ليجبن عن واجبات الحروب ومجاذبات الحياة . ونرى الذاكرين للموت بل المشاهدين لعينه دائماً في ممارسة الحروب هم اجرء على الموت واشد جاشاً فيه من اولئك المترفين المتناسين له فهو يطرقهم وهم عنه غافلون . وَمن اولئك الغزاة الفاتحون ؟ أليس امامهم في الجلاد ليثهم الكرار ابن ابي طالب أ كان جباناً رعديداً بكثرة ذكره الموت ومشاهدة اسبابه وغمرات اصحابه ام كان هو من المتناسين لذكر الموت مراغمة لتذكير الله اياه وتحريض رسوله على ذكراه ،

( ومنها قوله ) لم يتكلم الغزالي على تربية البنات وكان عليه أن يهبهن نصيباً من عنايته . ولكن الرجل تأثر بعصره و بقومه فقد كانت تربية البنات مما لا يهتم به الاولون .

( اقول ) لم يستطع الغزالي ان يعتقد تقصير النبي عليه الصلاة والسلام في حق البنات واقتتاره فيما آتاهن ليزيد شيئاً من تلقاء نفسه في نصيبهن . وما من عاداته التأثر الا بما حد له نبية في كل شيء . وانما يحاول المتأسون ( باوربا ) ان يلحقوا المرءة بدرجة الرجل وذلك مراغمة للفطرة التي فطرن عليها من الرقة والضعف لينتظم الامر بين قوي وضعيفة يحنو عليها حنو الوالد على ولده وتلوذ به لواذ الولد بأبيه فلا يتنازعان وما أدري ما العلة التي دعت هؤلاء لان يصرفوا كل هذه العناية بتعليم المرءة اعمال الرجال . وكل رجالهم غارقون في غمرات الجهل مسارعون في اودية الضلال .

( ومنها قوله ) وربما يحسن بالغزالي ان ينصح المعلم ببذل الجهد في غزو

الغرائز السيئة التي يراها في تلميذه فأما الضن عليه بالعلم فهو فيما أرى هروب من الواجب وعمل سلبي لا يغني ولا يفيد .

( اقول ) قد علم الناس كيف شدة الغزالي وعنايته بغزو الغرائز السيئة وانما يضن بالعلم على افراد قد حكم القضاء الشقاء فيهم فهم لا يزيدهم النصح الا طغياناً وكفراً وتعليم مثل هؤلاء اكبر جناية عليهم وعلى الناس جميعاً فان العلم في سيئ الملكة آفة كبيرة في الدين ولسوف يتمنى اناس كثيرون ان لو كانوا جهالا فلم يجترؤا بعلمهم على الله ورسوله وعلى أئمة المسلمين وربما كان سادن الماخور ادنى الى السلامة من هؤلاء العلماء الممقوتين .

( ومنها قوله ) يجب على المرء فيما يرى الغزالي ان يجتهد في ان لا يراه مولاه حيث نهاه وان لا يفقده حيث امره ولن يقدر على ذلك الا بتوزيع اوقاته وترتيب اوراده من صباحه الى مسائه .

( أقول ) ان الله لم ينه العبد وجوباً الا عن الفحشاء والمنكر والبغي ولم يأمره كذلك الا بما افترض عليه والحق ان لا يراه في شيء من تلك المنهيات وان لا يفقده عند هذه المأمورات . فاما قسم المنهيات فهي تروك لا تشغل شيئاً من الاوقات واما المأمورات الفرضية فمجموع اوقاتها اليومية لا يستغرق ساعة من نهار . وما وراء ذلك من المباحات فليس الامر والنهي بوارد على شيء منها ولم ادر من اين فهم حضرة الدكتور وجوب هذا التوزيع والاستغراق على ان وجود المرء في مهنته وحانوت حرفته سعياً على اهله وولده او اعلاء كلمة دينه ووطنه هو من عين المأمورات التي يجب ان لا يفقد العبد عندها وليس المأمور به فقط الصوم والصلاة ولو صح فهم الدكتور في هذا المعنى لتوجه اعتراضه على الله الذي امر ونهى لا على الغزالي .

( ومنها قوله ) غير انا لا نوافق الغزالي فيما ذكر من آداب النوم اذ يحض

المرء على ان ينام على يمينه وان يتذكر ان النوم مثل الموت واليقظة مثل البعث. ولعل الله يقبض روحه في ليله فعليه ان ينام ووصيته مكتوبة تحت رأسه .

( اقول ) من وقف على النصوص الشرعية وما ورد في استحسان النوم على اليمين بل التيامن في كل شيء وقوله تعالى ( الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ) وامره عليه السلام لنا حين نأخذ مضاجعنا ان نقول ( باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين ) وقوله عليه السلام ( من مات على وصية مات على الايمان ) علم ان الغزالي لم يأت من بيت امه بشيء من ذلك وانما هو حاك عن الله ورسوله . والدكتور انما ينقد الشرع مستخفياً وراء الغزالي . ولو قص الدكتور من امر هذه الوصية على غربي منصف لطأطأ له اجلالا لما يراه من حرص الشريعة على ان لا يموت المرء مجهلا لحقوق الغير ولعد ذلك من اقصى الاخلاق المدنية .

( ومنها قوله ) لا او افق الغزالي على التذكير بالموت لانه يجب اقصاء فكرة الموت من الاحياء فان التفكر فيه يدعوا الى الزهادة والجمود . وانه لا عيب على الغزالي غير الافراط في تحقير الدنيا وهو عيب فظيع فان الدنيا اجل واعظم مما يتصور هو وامثاله .

( اقول ) ما ادري ماذا يقول الدكتور ان تلونا عليه ما ورد شرعاً في حقارة شأن الدنيا كقوله تعالى ( انما الحياة الدنيا لعب ولهو ) وقوله ( ولا تغرنكم الحياة الدنيا ) وقوله ( زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة ) وقوله ( وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة في الآخرة الا متاع ) وقوله عليه الصلاة والسلام ( والذي نفسي بيده لو كانت

الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً جرعة ماء ) وقد مثلها لاصحابه بالجيفة تارة وبالمزبلة أخرى ولا تكاد تجدفي جميع الكتب السماوية ولو كلمة واحدة تنوه بجلالة قدر الدنيا وتعظيم شأنها . وما رأيت وما سمعت قبل الدكتور احداً من الناس مؤمنهم وكافرهم يصرح باجلال الدنيا وتعظيمها. فهو يسبح بحمدها ويقدس لها كما يقدس المؤمن رب العزة. يتوهم الدكتور الجمود في الزهد وكأنه لازم من لوازمه فيما يرى لانه لايستطيع ان يتصور ان هناك عاملا يسعى من اجل دينه فوق سعي ابناء الدنيا لدنياهم ولو تأمل بما سمعه من اخلاق الرسول وخلفائه الراشدين لهان عليه تصور ذلك .

( ومنها قوله ) وهل كان الله عابثاً يوم خلق هذه الدنيا الجميلة التي رميتم عشاقها بالاثم والفسوق .

( اقول ) كلا بل خلقها جميلة حين خلقها ليبلو الناس ايهم احسن عملا فلا يلهو بجمالها عن عبادة ربه ومعرفة خالقه وأن يتمتع بذلك عشاقها الآثمون الفاسقون . فالله رحمن لا يفوت عباده نعيم الدارين وهو القائل ( انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً ) ويقول ( ونبلوكم بالخير والشر فتنة والينا ترجعون ) ويقول ( ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ) . وقد نهى سبحانه عن مد البصر الى زينتها وزخارفها فقال ( ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ) ( وقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ) وعير طالبيها فقال ( بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى) وقال (رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها)وكذلك ما كان الله عابثاً يوم خلق الكلب والخنزير وهدى الحمار الى عمل الخمرة وسائر

المسكرات ثم حرمها على طاعم يطعمها . هذة قيمة الدنيا عند الشارع نصرح بها بغير حجاب ممن يعدون تحقيرها نقصاً في الدين والله لا يستحيي من الحق فلا يتعب الدكتور نفسه في ستر هذه العورة بتمويه الحقيقة فان رآى ذلك عيباً وهو لا يرضى بدين معيب فما عليه ان يفارقه الى دين اسلم منه

( ومنها ) تنقيده الغزالي بأن يحظر على التاجر ان يكون شديد الحرص على السوق وان يركب البحر في عمل التجارة يقول وهذه نزعة صوفية فللتاجر ان يكون اول داخل في السوق وآخر خارج منه بل عليه ذلك وعليه ان يركب البحر في التجارة وكل اولئك من وسائل الحياة .

( اقول ) قد سبق منا الجواب عن هذه المؤاخذة في موضع آخر ولو تنبه الدكتور الى ان مسابقة الاصناف في دخول السوق ومباطأتهم في الخروج منه انما هي مغالبة بعضهم بعضاً على الرزق وذلك لا يعود على المجتمع بفضل فائدة فسواء عليه أغلب زيد عمراً أو عمرو زيداً زيادة على ما في المسابقة من نفي الوقار وكشف عورة الشح والحرص والشره . ومخالفة قوله عليه السلام ( اجملوا في الطلب ) اما ركوب البحر فقد ينهى عنه التاجر ان كان فيه خطر الغرق او بعد شقة ومشقة لا يفي بها ما عسى ان يحصل عليه من الربح . وهكذا كان الامر على عهد الغزالي.

( ومنها قوله ) وأحب ان يتنبه القارئ الى دقة هذا الادب اي رجوع التاجر من سفره اذا رأى في نفسه نقصاً دينياً عما كان عليه في الحضر .

( اقول ) تهكم الدكتور بهذا الادب وتعجب من ان يؤمر بترك فضل مالي بفضيلة دينية وليس هذا التهكم بغريب من امثاله فان اكرم الناس عندهم اغناهم ليس اتقاهم وهم يصرحون بايثارهم الحياة الدنيا على الآخرة والله يقول ( فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع )

( ومنها قوله ) ولم يقتصر الغزالي على ذلك بل حكم على طبيعة المرءة حكماً

أقسى من الصخر . فقد قال في معرض الحديث عن ادب النساء والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل واستدل بحديث لا اعلم مبلغه من الصحة وهو قوله عليه السلام ( مثل المرءة الصالحة كمثل الغراب الاعصم بين مائة غراب .

( اقول ) ان لم يكن هذا الحديث صحيحاً فحديث انهن ناقصات عقل ودين وحديث انهن خلقن من ضلع اعوج وانهن كافرات احاديث صحاح تشهد لها الكتب الصحاح بل نفس خلقتهن فغضاضة مزاجهن تصوت على غضاضة عقولهن وهذا السمت الرشيد الذي يتراآه الدكتور في وجوههن هو نضرة سيادتهن التي منحها الرجال اياهن مواضعة بغير استحقاق . وان شئت ان تختبرهن فأسئ يوما اليهن ثم انظر ما ذا ترى منهن من فعل وتسمع منهن من قول . وها هي اوربا منذ اجيال تعاني الحاقهن بالرجال وتقول انهن والرجال سواسية كأسنان المشط وما نراهم يولون واحدة منهن بين مائة من الرجال فهم يقولون مالا يفعلون .

( ومنها قوله ) وللغزالي في هذا الموضوع كلام كله سذاجه اذ تراه يضع طائفة من الادعية يقوم بها الرجل عند الوقاع وما ادري كيف تصلح هذه اللحظة للادعية والاوواد وما الى ذلك مما يضعف الشهوة .

( اقول ) لا شك ان الدعاء مشروع عند كل مهم وانه قد يستجاب للداعي ولا اهم من امر ذرية صالحة وان التسمية عند مباشرة الوقاع سنة وهي اهم الادعية وخير الاذكار ويوشك ان يشارك الشيطان من لم يسم بذريته فيخرج شيطاناً يضل الناس ويغويهم عن سواء السبيل ، والى ذلك الاشارة بقوله تعالى ( وشاركهم في الاموال والاولاد )والادعية التي يذكرها الغزالي موقتة بقبيل اللحظة التي يكون الوقاع فيها لا بها اما من عهد تضاعف لذة الوقاع باستهداف الخطرات القبيحة فهو يحكم بالمنافات بين الشهوة وبين ذكر الله وحالة الابتهال اليه وقد وسم الغزالي بالسذاجة وهو الفلسفي الكبير . لان السذاجة عند اكثر هؤلاء المتنورين

من يدين الله بكل ما أتت به الشريعة ولم يطلق رأيه من قيود الكتاب والسنة ولا بأس بذلك عندهم لان من كفر عن اجتهاد فله اجره غير منقوص قياساً على المجتهد اذا أخطأ . وقد صرح الدكتور بذلك فيما سلف. قال بعض الصحابة رضي الله عنهم يخاطب رجلا من التابعين (كانت رجال لو رأيتموهم لقلتم إنهم مجانين ولو رأوكم لقالوا انكم شياطين) وهكذا يسمى المتقدم المتأخر شيطاناً والمتأخر المتقدم ساذجاً مغفلا وربهم اعلم بمن هو اهدى سبيلا .

(ومنها قوله) ولا يفوتنا ان ننوه بما وفق اليه الغزالي حين قال وعلى الجملة فاذا لم يكن حب السعادة في الآخرة مناقضاً لحب الله تعالى فحب السلامة والصحة والكفاية والكرامة في الدنيا كيف يكون مناقضاً لحب الله. قال الدكتور وانما نوهنا بهذه الفقرة لانها في صوابها تناقض ما يردده الغزالي من احتقار الاغراض الدنيوية.

(اقول) ان الصحة والسلامة والكفاية والكرامة ليست غرضاً من الاغراض الدنيوية وانما هي من ضرورات الحياة الذاتية فلا ينفك عن حبها بشر حتى الانبياء المرسلون بل البهائم السائمة وهي لا تعرف ما الدنيا وما اغراضها وانما الحياة الدنيا لهو ولعب وتفاخر وتكاثر في الاموال والاولاد الى آخر ما وصفها به القرآن فحب هذه الضرورات لها شبه واتصال بحب الجائع الطعام الشهي فانه غير مناقض لحبه زوجته بخلاف حبه ضرتها النازلة عليها فالدكتور تلتبس عليه الحقائق فيحكم بالتناقض .

(ومنها) مناقشته في ان يشترط الغزالي العدالة في المحتسب في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مستدلا بأن الانبياء قد اختلف في عصمتهم . والقرآن العزيز دال على نسبة آدم عليه السلام الى المعصية . وكذا جماعة من الانبياء فلو اشترطنا في الارشاد ان يكون متعاطيه معصوماً عن المعاصي لا غلق هذا الباب .

(اقول) هذه مقالة بشعة تسجل على قائلها فظيع الجهل وبعد الضلال اذ

أشعرتنا انه لا يفرق بين العصمة وبين العدالة ولم يسمع حتى الآن ان العدل من غلبت حسناته سيئاته ويرى ان آدم عليه السلام وكذا جماعة من الانبياء ماتوا على العصيان اذ يحتج على الغزالي باحتسابهم من بعد وهم عصاة وانها لمقالة شنعاء تحرج منها النفوس وتضيق لها الصدور .

( ومنها قوله ) واشتراط الغزالي ان يكون المحتسب مأذوناً من الامام والوالي بعد اطلاق الآيات والاحاديث الواردة في ذلك غير صحيح .

( اقول ) قد تطلق الاحاديث والايات اعتماداً على قرائن الاحوال كعدم اهلية الكل لصلاحية الامر والنهي او لضعفه عن القيام بواجبهما من غير اثارة فتنة وتحريك شر . وقوله تعالى ( الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ) وقوله (السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما ) . وكذا كل ماورد في الحدود فهو مطلق كما ترى مع انك لا تشكك في ان المخاطب بذلك انما هم الولاة والقضاة لضعف غيرهم عن اقامة تلك الحدود واخضاع الناس لها واستخذائهم تحت حكمها . والغزالي يخالف الذين يشترطون للمحتسب اذن الامام والوالي ويرى الاقيس ان لايحتاج الى الاذن واسناد الاشتراط اليه من جملة مفترايات الدكتور عليه . واليك نص الغزالي في باب الاحتساب وهو قوله ( فبهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه الى اذن الامام فقال قائلون لا يستقل آحاد الرعية لانه يؤدى الى تحريك الفتن وقال آخرون لايحتاج وهو الاقيس لانه جاز للاحاد الامر بالمعروف) وهذ النص نقله عنه الدكتور نفسه في صحيفة ٣٤٢ من كتابه المذكور .

( ومنها قوله ) ان الغزالي متناقض في قوله ولا يقف سقوط الوجوب عند العجز الحسي بل يلحق به ما يخاف منه مكروهاً وكذلك اذا لم يخف مكروها وعلم ان انكاره لاينفع وقوله ( فاما قول المحتسب اعلم ان ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لايكون عذراً بل لابد من الذكر فلايخلو قلب امرء عن التأثر من سماع الانكار .

( اقول ) ان مقالة الغزالي الاولى في سقوط الوجوب عمن علم يقيناً اوظن قوياً ومقالته الثانية في عدم العذر لمن يتعلل بمجرد قوله اعلم ان الحسبة لاتفيد بناء على سوء ظنه بالمسلم كما يشعر به عبارتاه وقد لايزيد الانكار البعض الاطغياناً وكفراً.

( ومنها قوله ) انا لاأريد غير تحقيق هذه الفكرة اي حديث ان الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الامة امر دينها وبيان ما ترتكز عليه من أساسي قوي اوضعيف فهي في ذاتها فكرة سخيفة ونظم السيوطي فيها اسخف .

( اقول ) هل المجدد غير رجل قد وفق للوقوف على روح الشريعة واوتي فيها الفقه والاخلاص فهو يدعو الامة بسمت رشيد وقول بليغ ليحرك فيها عواطف دينها ويجدد آثار ما اندرس من معالم يقينها أفهذا كثير على علماء خير أمة اخرجت للناس . واية استحالة في القول بهذا التجديد يرى الدكتور بسببها بسببه علماء الامة ما بين سخيف واسخف ، اذا كانت أئمة ائتمها عنده كذلك فليت شعري ماقدر بقيتها التي تموت وتحيا باشارة هولاء السخفاء وما منزلتها عنده ، وهل لولا انه وامثاله في جملة هذه الامة الساقطة يجمعون عليها شمل دينها ما كانت خير امة اخرجت للناس . ولا صح انها لاتجتمع على ضلال .

( ومنها قوله ) واذ لاحظنا ما شاع بين المسلمين في تلك العصور الخوالي من سلطة الاولياء وتصرفهم المطلق في عالم الاحياء وسبحان من جل عن الشريك .

( اقول ) هذه النزعة هي بيت القصيد الجلل . هذه هي اول القصد آخر العمل . هذه هي المغزي الذي تقربه اعين اعداء الكرامات . وتسكن اليه نفوس نفات المعجزات . وما ادرى كيف لايكون مشركا بالله من يذهب الى ان العبد مستبد بارادته فهو يسيرها انى شاء ومتى شاء كما يقول الدكتور وهو يحيى بالعفو ويميت بالمؤاخذة ويدرك الملهوف ويعصم الغريق وينقذ الحريق ثم يكون معتقداً تصرف الولي في مثلها مشركا بالله . ولم لايكون مشركا بالله من يعتقد ان عيسى

عليه السلام يحي الموتي ويبرئ الاكمه والابرص باذن الله وما الفرق بين تصرف البدن بقواه وسائر جوارحه المعهوده . وبين تصرف الروح بهباتها اللدنية المشهورة. فيكون معتقد الثاني مشركا بخلاف من يعتقد الاول .

( ومنها قوله ) ان الاخلاق كالشرائع فكما تنهزم الشريعة امام الحياة ويكون الفوز لها كما انهزمت المسيحية لخروجها على ما للحياة من قوانين كذلك تنهزم الاخلاق امام الحياة حين تخلو عما للحياة من عناصر واصول وهكذا انهزم الغزالي حين نازل الحياة حرم النقش والتصوير ولكن النزعات البشرية مشت في طريقها بقوة ولم تصدف عن النقوش والتصاوير .

( أقول ) لا اريد ان اعتب على حضرة الدكتور كيف يسمى الفحشاء حياة والمنكر ومقارفة الذنوب فوزاً وظفراً ويشبه الشرع في ادباره بالجبان المولي هارباً فينقلب صاغراً والفسوق بالبطل الشجاع على الحق ظاهراً وانما اريد ان اصادقه على انه ما نازلت الشريعة شهوة من شهوات النفس الا كانت لها الكرة الاخيرة على الشريعة وذلك لان الميل الى الشهوات طبيعي والى الدين قسرى وكلما بعد عهد القاسر ضعف اثر القسر حتى ينفد ميله فيعود ميل الشهوات الطبيعي الى ما كان عليه غير معاكس والى ذلك اشار سبحانه بقوله (فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً ) وقوله ( فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ) . انه لمغني عن ثرثرته تلك قوله تعالى ( حكمة بالغة فما تغني النذر ) لان الحكمة الآلهية تقضي بهذه الحياة التي عنى بها الدكتور. والشريعة بعض ما اقتضته تلك الحكمة ولن يغلب بعض كلا ولا فرع اصلا . ما جاءت شريعة من الشرائع لتنازل الحياة وانما جاءت لنحيي بها حياة طيبة بتقليل الشره فيها والافراط في تطلب اسبابها المؤدي الى هذا الجلاد الذي يهدد عالم البشر بويل محيط عام . نعم تنازل الشريعة كثيراً مما يسميه العصريون حياة

وهو في الحقيقة فتنة في الارض وفساد كبير . ولو جرئ الدكتور قليلا لقال وهكذا انهزم محمد عليه السلام حين نازل الحياة فحرم الخمر والزنا واللواط والربا ولكن الشهوات النفسانية والنزعات الشيطانية مشت بطريقها بقوة ولم تصدف عن هذه المحرمات ولو جاءت الشريعة مداهنة للناس فيما يشتهون مبيحة كل ما يرون خشية اجلائها عنهم فما تكون اذاً فائدة الشريعة وما سبب مجيئها تترسم اقدام الشهوات . وتلج مع الفجار ابواب المواخير وتوافد الحانات .

( ومنها قوله ) وليت الغزالي حين حرم النقش والتصوير والغناء وضع لذلك عللا معقولة بل علل للاوليين بأنهما يدعوان الى الونية والثاني بأنه يدعو الى شرب الخمر ، وهذا كذب على الواقع وظن مردود .

( أقول ) لم يحرم الغزالي النقش ولم يذهب ذاهب من علماء المسلمين الى تحريمه بل ولا تصوير غير ذوات الارواح أما هي فقد كرهوها تحريماً لما في صحيح البخاري وغيره من تهديد المصورين . بأنهم يكلفون يوم القيامة احياءها ونفخ الروح فيها وان الملائكة لا تدخل بيتاً فيه التصاوير ويمكن ان يكون ذلك لما في التصوير من العبث والتشبه بخالقيته تعالى اشراً وبطراً . وبالامم السابقة كانت تصور صوراً فتضعها في البيوت تتخذها آلهة اما الغناء فهو من جملة اللهويات المباحة الا ان يترتب عليه الشوق وميل الى محرم .ولم يأت الغزالي بتحريم هذه الاشياء حتى يلزم بمطالبة تعليل تحريمها بعلة صحيحة او غير صحيحة . فهي محرمة قبله بناء على النصوص الشرعية واقيستها العقلية .

( ومنها قوله ) ليست الاخلاق شيئاً آخر غير مناهج الحياة . لا ما يعرفه الغزالي من الفضائل السلبية كالتواضع والتوكل والصبر والزهد والقناعة وانما هي فهم قوانين الحياة ولا قيمة للحياة بغير القوة .

( اقول ) لا يخفى على احد ان هذه الاخلاق السلبية لم يكن الغزالي اول

واضع لها في باب مكارم الاخلاق . بل جاء القرآن منوهاً بذكرها مثنياً على من يتخلق بها. فالدكتور انما هو معترض بذلك على القرآن مخاصماً به منزله لا الغزالي . ويضحكني الدكتور كثيراً حين يعبر عن مكارم الاخلاق بأنها سلبية وان السلوب لا تكون من الفضائل فالعفة عنده مثلا غير فضيلة لانها سلبية بخلاف الزنا لانه ايجاب وكل ايجاب فضيلة وكذا المنسأة والعصا والنبوت والهراوة كلها فضائل عنده لانها من اسباب القوة ولا قيمة للحياة بغيرها . يتوهم الدكتور ان الزهد جمود وبطالة والقناعة ان يؤثر بالمال عدوه والتوكل تسيب واهمال والصبر فقد غيرة وحمية والتواضع ذل وتبصبص فلا يكاد يهتدي بالاسماء الى مسمياتها ولا يفرق بين الفضيلة والرذيلة. انما الزهد ترك مزاحمة الاخوان ومضايقتهم على ابواب الاكتساب. والقناعة عدم الاضطراب والتشوف الى ما ليس للوصول اليه سبيل . والتوكل عزيمة المضي بلا تردد فيما عسى ان يكون. والصبر ثبات الجأش عند صدمة مصيبة ولقاء عدو . وما الى ذلك مما يحمد الصبر عليه . والتواضع ترك التكبر والتجبر على ضعفاء الامة واخوان الدين. وهكذا فليفهم الدكتور هذه الاخلاق .

( ومنها قوله ) فيجب ان تكون الاخلاق باباً الى الحياة القوية وطالما شككت في قوله عليه السلام ( اللهم احيني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين ) .

( اقول ) ويلك ان لم تكن الاخلاق التي ينوه بذكرها القرآن باباً الى الحياة القوية . فأي شيء بعدها يكون ؟ ولقد كان الاولى بشكك قوله تعالى ( ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين ) فهو يعلن بالبشرى لقوم تمسكوا باصول اخلاق كلها سلوب. أكانت حياة الرسول وأصحابه غير قوية ام كانوا على جانب غير جانب القرآن كانوا متكبرين لا متواضعين هالعين غير صابرين طامعين غير قانعين..

( ومنها قوله ) مدافعاً عن القائلين بقدم العالم ان الاجسام التي يدرك تكونها بالحس كالماء والهواء والحيوان والنبات اتفق الجميع على انها محدثة .

( اقول ) الواقع ان الفلاسفة اتفقوا على قدمها بالجنس والنوع والفصل . وهذه الاصول لا وجود لها بدون افرادها الشخصية فهم قائلون بقدم العالم كله.

( ومنها قوله ) ان الفارابي يفضل الفيلسوف على النبي وان محي الدين ابن عربي يدعى انه كان يأخذ من المعدن الذي كان يأخذ منه الملك الذي يوحي الى النبي . فهو على ذلك افضل من النبي .

( اقول ) حاشا الفارابي وابن العربي ان يكفرا جهراً وانما يفتري على امثالهما الكذب من يستدرج العامة الى الضلال فيؤنسهم بمثل ذلك ، نعم يذهب ابن العربي الى ان الولي قد يسمو الى رتبة يتناول بها العلم من المعدن الذي يأخذ منه الملك ولا يلزم من ذلك انه سوى بين الرسول وبين ولي هكذا شأنه . وما من رسول ولانبي الا وهو ولي. فهو يأخذ علوم الولاية من المعدن الذي يأخذ منه الملك. بل الحق تعالى حين يكشف عن بصيرتهم فيشهدهم عالم الامكان على ما هو عليه ازلا وان كانوا يأخذون علوم الشريعة عن الوحي بواسطة الملك ولئن كبر على الدكتور سماع مثل هذه الجواهر فليس هو بأهل لسماعها ولا نظمت عقودها لتقلد بها اعناق الدكاتير .

( ومنها قوله والغزالي خرج من شكه بطريقة لا تصل بأحد الى يقين. خرج من شكه بنورالله ونور الله هذالايعرفه العلم حتى يضمه الى مالديه من اصول وينقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم . سئل عن الشرح ومعناه في قوله تعالى ومن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قال نور يقذفه الله بالقلب فيشرح به الصدر.

(اقول) انكر الدكتور شرح الرسول هذا الشرح وتفسيره بالوجه الذي رواه الغزالي وقد شرحه الله به في موضع اخر من كتابه وهو قوله ( افمن شرح الله

صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) قدوضعت الشريعة للوصول الى هذا النور اصول التقوى ( قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ) وقال ( واتقوا الله ويعلمكم الله وقال ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ) وانت كما ترى ان هذ النور يتكلم به القرآن قبل خلق الغزالي وانما الغزالى مظهر ذلك النور ومصداق وعد الله المتقين به ونور الله لا يهدي لعاصي ليعرفه وليس من العقل انكار المرء كل ما ليس له منه نصيب .

(ومنها قوله) ولماذا تحكم بنفي الاثم عمن يجتهد ويخطئ في المسائل الفقهية . وتحكم بالاثم والكفر على من يجتهد ويخطيء في المسائل الكلامية .

(اقول ) ان المهمل في النظر الجاحد اصلا من اصول التوحيد عند الدكتور كمن حاز شروط الاجتهاد وأذن له الشرع به فأخطأ بفرع من فروعه . والاول مجتهد في انكار الشرع والثاني مجتهد للشرع باذن من الشارع وشتان ما بينهما كما بين المومن والكافر بل هما هما .ولعمري ان هذا لاشبه بوسوسة منه بمقالة عاقل .

(ومنها قوله) ولقد تتبعت ماكتبه علماء المسلمين في هذه المسئلة فرأيتهم لايكادون يهتدون .وسبب ضلالهم يرجع الى انهم خلطوا بين الوجهة الاخلاقية والوجهة القضائية فالذي يقتل مؤمنا خطأ مدين من الوجهة القضائية ولكنه بريء من الوجهة الاخلاقيه.

( اقول ) الضال فلم يهتد الى سبيل انما هو من يتبع غير سبيل المؤمنين .ويضلل علماءهم ويسفه احلامهم . والا فعلماء المسلمين يفرقون بين الوجهتين فيقولون هذا قضاء ، لاديانة وهذا حكم دنيوي لاأخروي وهذا حق الله لاحق العباد وكل ذلك تفريق بين الوجهتين وان لم يعبروا عنه بتلك التعابير التي يقتدي الدكتور فيها باصطلاح المبشرين . واغفاله الفرق بين الوجهتين يبين مبلغ علمه الفقهي وانه فيه راجم بالغيب .وتضليله جميع علماء المسلمين يسمعك دعوى عريضة ما اقبحها لو كانت حقيقة . فكيف وهي لاغية زور اعاذنا الله وجملة المؤمنين من زلة القدم وهفوة الضلال آمين . انتهى

# التقاريظ

## بسم الله الرحمن الرحيم

احمد الله تعالى بجميع محامده فلاحمد الا وهو راجع اليه . واصلي واسلم على من صلى الله وملائكته عليه . شمس الوجود ومظهر كل ممكن موجود . صاحب السمحة النقية والمقام المحمود . وعلى آله وصحبه . واتباعه وحزبه . صلاة تحفظ للدين انصاره . وتُصلي كل عدو للمسلمين حسرة قهارة .

اما بعد فلا استقلال لامة اضاعت اخلاقها . ولا خير بل لا مستقبل ولا حياة لناشئة تفتخر بما يسخط خلاقها . فسلف الامة هم مشكاة المجد والفخر ، والظلام يتلاشى متى اسفر الفجر ، هذا وقد سرني ما نظرته في عدة من ابحاث كتاب ( الاخلاق عند نابغة العصر ) لنابغة المحققين اليوم الاستاذ العلامة المفضال الشيخ حسين بن السيد رمضان الخالدي من علماء الاكراد في السادة الحنفية. المقيم بلواء دير الزور الذي انتصر فيه لحجة الاسلام الامام الغزالي رضي الله عنه . ورد اباطيل المتهور العصري . الدكتور المفتري زكي مبارك المصري . التي اوردها في كتاب سماه (الاخلاق عند الغزالي) وتوهم انه بذلك قد حط من قدره. وهيهات هيهات فأين الشمس من الحرباء وأين العروس من الخنفساء ويكفي الامام الغزالي ( والعلامة الخالدي المنتصر له ) تأييداً ومجداً ان الغزالي فخر للشرق وفي الغرب امام ، كما انه عند المسلمين حجة الاسلام . ولا بدع فالناشئة المتهورة لا يستغرب

منها امر ، وكيف يأتي بخير او ترجى منه فائدة من خلقه الله اهلا للنار مظهراً للفسق والكفر . ونبينا صلى الله عليه وسلم قال ( ما من نبي بعثه الله في امته قبلي الا كان له حواريون ( اي اتباع ناصرون ) واصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره. ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون. فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن . ومن جاهدهم بقلبه فهو مومن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل )رواه مسلم . ولكن قد لاح لنا أخيراً بارقة امل بل رجاء في انصاف بعض الناشئة من المسلمين في مصر وغيرها من امهات البلاد في الطبقة المنورة، فعسى ان يتحقق الظن بهم في ثباتهم على نصرة الحق والمجاهدة به بشرط حقيقة التمسك بتعليمه ( فأوصي كل واقف على منشورات العصر . ان كان ممن يهتم لدين الاسلام او لآداب بني الانسان اوصيه ان يعتني بمثل هذا الكتاب ( الاخلاق عند نابغة العصر ) .

ولعلي هنا اسمع غبياً مغفلا او بليداً ابله يقول ما لنا وللردود حسبك من شر سماعه ولا سيما وقد اوضح الغزالي آفات علم الكلام والمناظرة. فالجواب ان يقال ذلك في امر خفي او امر لا يدعو الناس جهاراً الى اعتناقه ومتابعته ولم يدينوا به وينادوا اليه بما يشاهد ويسمع . اما اليوم — فأفيقوا واعتبروا يا اولى الابصار .

خادم العلم الشريف بدمشق
محمد هاشم رشيد الخطيب
الحسني القادري

بسم الله الرحمن الرحيم

احمدك يا من نصرت وعززت حجة اوليائك احياء واموانا وانت النصير الدائم ، وهيأت في كل زمان من يذب عن دينك ولا يخشى فيك لومة لائم ، وآذنت بمحاربة من يعادي اولياءك من كل مفتر آثم ، واصلي واسلم على سيدنا محمد النبي الاواه ، القائل (لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي امر الله) وعلى آله واصحابه ومن اتبعه ووالاه ،

اما بعد فان من افضل اعمال المرء في هذا الزمان ، محاربة اعداء الله وقمع اهل الفسق والطغيان ، خصوصاً من نشأ منهم على التعاليم الفاسدة في هذا العصر الجديد ، فأضله هواه واتبع كل شيطان مريد ، وقد كان من نابغتهم الدكتور زكي مبارك المصري الذي سولت له نفسه حب الظهور ، واستهواه هواه فتخبط في ظلمات الاحلام بادرا كه القاصر المبتور ، فوضع كتاباً سماه (الاخلاق عند الغزالي) رسم فيه كل سفسطة مسروقة تنادي بالحادة ولا يبالي .

وقد خاض في بحار الضلال فمزق اصول الدين تمزيقاً . وتاه في بيداء شهواته فنأى عن السنة أن كذب بها واتخذ عند الشيطان طريقاً ، فانبرى له من تولى الله تاديبه ، واعطاه من الحكمة قسطه ونصيبه . العلامة السلفي الذي اوتي الحكمة في فصل الخطاب ، ومنح العلم والعمل وأيد بالقول الصواب ، الفقيه الماجد ، والعارف المحقق الناقد . السيد حسين الرمضان الخالدي . رد في كتابه المسمى بـ (الاخلاق عند نابغة العصر) مفتريات ذلك الملحد بحكم ناصعة جليلة القدر ، فجاء كتاباً مبدداً لما تلقيه الشياطين في اماني اوليائها ، موهنا كيد المارقين أحلامها واهوائها ، جديراً

بالاقتناء والتداول بين المؤمنين ، مفيداً يرشد مطالعه الى حقائق الدين. عصم الله مؤلفه من كيد الاعداء ، وجزاه عن المؤمنين خير الجزاء .

سفر حوى روح الشريعة ناطقا ... بالحق في فصل الخطاب جليل
قد احكمت آياته فكأنها ... سيف لاعناق البغاة صقيل
مهما يبالغ ذو المقال بوصفه ... فالوصف لو جل المقال قليل
انى يضاهي حكمة وبلاغة ... ومجيده الفذ الكبير نبيل
ذاك الحسين الخالدي اخو العلا ... قد عز إن نرجو المثيل مثيل

خادم العلم الشريف
احمد حمدي الصابوني الحلبي

ياناصراً حجة الاسلام بالحجج ... نافح فدتك رجال السوء بالمهج
تمحو اضاليل ذي زيغ مزخرفة ... محو الصباح ظلام الليل بالبلج
ماريت فيها وكانت كلها حكما ... فيما يظن فعادت خزية السمج
ورب نابغة دان الفصاح له ... ارهقته صعداً بالموقف الحرج
قد جئت احوج ماكنا لمثلك ذي ... رأي يعز به الاسلام مزدوج
لاتستوي خلوة الصديق يعقبها ... فتح وتزجية الاوقات في الهمج
ونزعة الجهل لا تخفى على احد ... وان رعاها لسان غير ذي عوج
مقالة الصدق اني قد كلفت بها ... كما كلفت بذات المنظر البهج
الله اكبر ماقام الرشاد لها ... واعقمت بهداها نزوة المرج

لاحد الادباء الاخلاقيين

تنبيه : سهونا عن اصلاح بعض نقطات تدرك ذوقاً من العبارة

| صحيفة | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ٦ | ٤ | هذا | بهذا |
| ١٣ | ١ | انتهكا | انهتكا |
| ١٣ | ١٥ | كتلافيها | كتلاقيهما |
| ١٤ | ٨ | فدر | فأدر |
| ١٥ | ١١ | حالة | بحالة |
| ١٨ | ٢٠ | الأوليين | الأولين |
| ١٩ | ٧ | الأوليين | الأولين |
| ٢٠ | ٣ | الحلال | الحال |
| ٢٢ | ٨ | يلجؤون | يلجؤن |
| ٢٤ | ١٩ | وردود | ورود |
| ٢٥ | ١٧ | للمعالطه | للمغالطة |
| ٢٦ | ١٠ | الطاعوت | الطاغوت |
| ٢٨ | ١٦ | واذا | وإذ |
| ٣٣ | ٢٠ | يطمعون | يطعمون |
| ٣٣ | ٦ | يحب | يجب |
| ٣٥ | ١٦ | روا | رأوا |
| ٣٧ | ٢٢ | بمزلة | بمنزلة |
| ٤٠ | ٢٢ | فكانب | فكانت |
| ٢٤ | ٤ | وضغ | وضع |
| ٤٥ | ٣ | للقبوة | للقبوة |
| ٤٦ | ٢٢ | يؤذي | يؤذى |
| ٤٧ | ١ | يؤذي | يؤذى |
| ٤٨ | ١٦ | اغائه | اغاثة |
| ٥٠ | ١ | يجروا | يتجروا |
| ٥١ | ٨ | تتفقه | لتتفقه |
| ٥٢ | ١٣ | إيجابة | إيجابية |
| ٥٤ | ٣ | بالرحمن سقفاً | لبيوتهم سقفاً |
| ٥٩ | ٢٠ | عنده الله | عندالله |
| ٦٤ | ٦ | الا بان كتاباً | الا بإذن الله |
| ٦٤ | ٢١ | وحده | واحده |
| ٦٨ | ١٩ | يخمد | يحمد |
| ٨٣ | ١ | خيلات | خيالات |
| ٨٨ | ٧ | رأية | رأيه |
| ٨٨ | ١٤ | يرتات | يرتاب |
| ٨٨ | ١٧ | فالينتقل | فلينتقل |
| ٨٩ | ١٢ | عمر | عمرواً |
| ١٠٢ | ١٠ | بسببها بسببه | بسببها |
| ١٠٤ | ١٠ | وتوافد | ونوافذ |

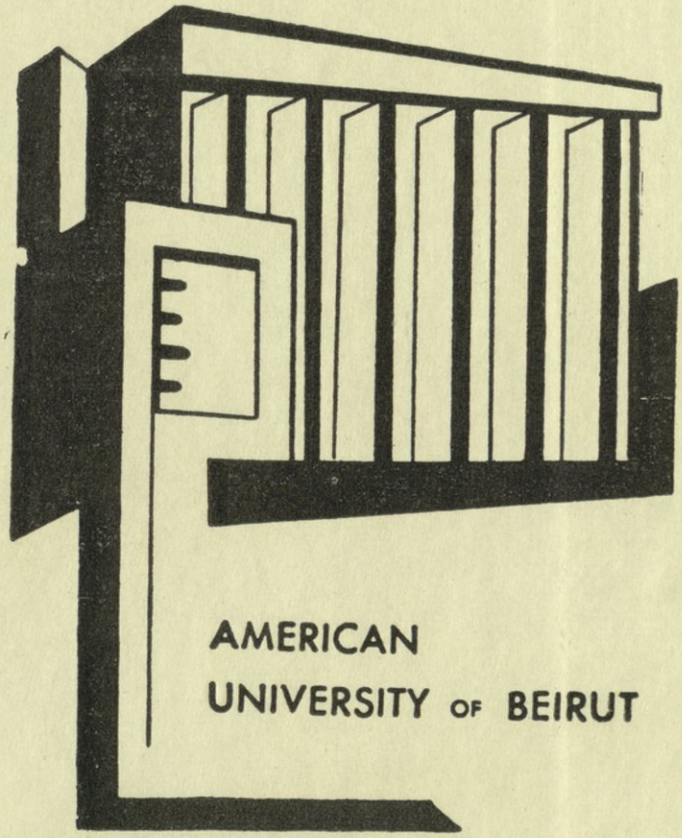
AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

170
K45aA
C.1